

منة اللّه العلية
في الدعاء ودلائله العقدية

إعــداد

د/ عبدالحكيم عبدالرحيم على

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة

بأسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شملت رأفته العباد، وعمت رحمته من بخل منهم ومن جاد، هو الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكرهم فقال تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ"(١).سبحانه رغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"(٢). فأطمع الكل في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"(٣).

فسبحان من جعل الدعاء وسيلة الرجاء ، فكل من خلقه يفزع في حاجته إليه ، ويعول عند الحوادث والكوارث عليه ، لطيف لم تخف عليه مضمرات القلوب فيفصح عنها بنطق بيان ، ولم تستتر دونه مضمنات الغيوب فيعبر له عنها بحركة لسان ، لكنه أنطق الألسن بذكره ، لتستمر على وله(٤) العبودية ، وتظهر به شواهد أعلام الربوبية.

---

(١) جزء من الآية رقم ١٥٢ من سورة البقرة.

(٢) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة غافر.

(٣) جزء من الآية رقم ١٨٦من سورة البقرة.

(٤) جاء في لسان العرب: قِيلَ فِي اسْمِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ إِنَّهُ مأْخوذ من أَلِهَ يَأْلَه إذا تَحَيَّرَ، لأَن الْعُقُولَ تَأْلَهُ فِي عَظَمَتِهِ. وأَلِهَ يَأْلَه أَلَهاً أَي تَحَيَّرَ، وأَصله وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهاً. وَقَدْ أَلِهْتُ عَلَى فُلَانٍ أَي اشْتَدَّ جَزَعِي عَلَيْهِ، مِثْلُ وَلِهْتُ، وَقِيلَ: هُوَ مأْخوذ مَنْ أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَى كَذَا أَي لجأَ إِلَيْهِ لأَنه سُبْحَانَهُ المَفْزَعُ الَّذِي يُلْجأُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمر، والتَّأَلُّهُ:==

وصلاة وسلاما على سيدنا محمد من ببعثته كل منكر متروك وموضوع ، وكل معروف موصول غير مقطوع ولا ممنوع ، المنزل عليه أحسن الحديث ، والمبجل بين الورى في القديم والحديث ، ورحمة موصولة بطرائق الإكرام من الملك العلام ، وعلى أصحابه وأحبابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن الدعاء واللجوء إلى الله تعالى نعمة كبرى ومنحة عظمى على العباد، جاد بها المولى تبارك وتعالى وامتن بها على من جاد، حيث أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة والمثوبة وتحقيق المراد.

فشأن الدعاء عظيم ونفعه عميم، ومكانته في الدين عالية لا تخفى إلا على كل قلب سقيم، ذلك أنه يتضمن توحيد الله، وإفراده بالعبادة دون من سواه، وهذا رأس الأمر وأصل الدين.

فما أشد حاجة العباد إلى الدعاء، بل ما أعظم ضرورتهم إليه؛ فالمسلم في هذه الدنيا لا يستغني عن الدعاء بحال من الأحوال، بل ومن في الأرض كلهم جميعا بأمس الحاجة للدعاء، وإخلاصه لرب الأرض والسماء؛ ليصلوا بذلك إلى خيري الدنيا والآخرة.

==التَّنَسُّك والتَّعَبُّد. وقال في تاج العروس: ألِهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّرَ، يُريدُ إذا وَقَعَ العَبْدُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ وجَلالِهِ وغيرِ ذلِكَ مِن صفَاتِ الرُّبُوبيَّةِ وصَرَفَ توهّمُه إِلَيْهَا، أَبْغَضَ النـاسَ حَتَّى مَا يميلَ قَلْبُه إِلَى أَحَدٍ. لسان العرب ٤٦٩/١٣، تاج العروس ٣٢٢/٣٦.

فإذا كان الدعاء بهذه المنزلة العالية والمكانة الرفيعة، فأجدر بالعبد أن يتفقه فيه، وأن يلم بشيء من أحكامه ولو على سبيل الإجمال، حتى يدعو ربه على بصيرة وهدى، فذلك أرجى لقبول دعائه وإجابة مسألته. ولا أقول إني استقصيت كل الدلائل العقدية في الدعاء ولكن ما تيسر لي جمعه في هذا الشأن. وسميت بحثي:

منة الله العلية في الدعاء ودلائله العقدية.

تمهيد:

أهمية الدعاء وأسباب اختياري له كبحث أكتبه أو كدراسة أدرسها لا تقتصر على ما أذكر الآن من مهمات أو أسباب، بل الأسباب كثيرة يطول بي المقام لو ذكرتها، ولكن حسبي أن أنبه إلى جملة يسيرة من أهميته وأسباب اختياري له كبحث، فأقول:

الدعاء أمر الله تعالى في كتابه الكريم، وفيه رغب رسوله الكريم ﷺ، وإليه جنح الأنبياء والمرسلون، وعليه عول الأولياء الصالحون، وإن أحسن ما توخاه المرء لدعائه في كل مهم، وتحراه لكل خطب مدلهم، ما يحصل به مقصود الدعاء، مع بركة التأسي والاقتداء، ويكون لفظه وسيلة لقبوله، وهو ما جاء في كتاب الله أو سنة رسوله.

فاقرأ إن شئت حديث القرآن عن الدعاء، وكيف وردت به السنة، بل والأنبياء السابقون، وحديث القرآن عنهم خاصة، إلى غير ذلك مما يجعلنا لا نغفل عن هذا المقام، بل ونتحرى أسباب قبوله وشروطه، ونأخذ في اعتبارنا أن نعمل ما به نحمل هم الإجابة لا هم الدعاء فقط.

ولعلك تلحظ تناثر الدعاء من أول سورة فيه مرورا بطوال السور وقصارها مكيها ومدنيها حتى إذا انتهينا عند آخر سور الكتاب المجيد وجدناها دعاء كريما يجسد صورة معبرة لاعتراف الإنسان بضعفه ولجوئه إلى خالقه وتعلقه بحصنه من كل ما دار بفكر أو جال بخاطر من أمر عظيم..

وبدء القرآن بالدعاء وانتهاؤه به دافع للتفكر بأن هناك سرا إلهيا في أن تكون فاتحة الكتاب كلها دعاء، وخاتمته دعاء، وما بين الفاتحة والخاتمة عقيدة وعبادة ودعاء.

والناظر لأمر الدعاء في القرآن العظيم يأنس تعدد صوره واختلاف أساليبه، فمرة يجده يحثنا على الدعاء، وثانية يعلمنا كيفيته، وثالثة بيانا متواصلا لحالات الداعين من المؤمنين حينا ومن المشركين حينا آخر. وإذا تابعنا السير في ظل هذه الظاهرة الكريمة نرى أنها عالجت قضايا الإنسان العقائدية في التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد فضلا عن حاجاته النفسية والاجتماعية التي تفتقر قواه إليها وغير ذلك من قضايا مهمة.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا في بيان معالم الدعاء أنها رسمت لنا منهجا واضحا في الاعتقاد ومعرفة الخالق، وآدابا في سؤاله وخطابه جل وعلا. ولعل الذي يظهر ذلك ويوضحه الآيات التي أبرزت نزوع الإنسان الفطري في حالات الضر والشدة والخوف والرعب إليه تعالى ونبذ ما سواه والبراءة منه والاعتراف بكل خضوع وذلة وضعف وقصور، ثم ما يلبث الإنسان بعد إجابته أن يعود إلى ما كان عليه من اعتقاد باطل. وفي ذلك إقامة للحجة على صحة نزوعه وفطرة عقيدته من جهة، وبطلان ما كان

بضد ذلك من جهة أخرى.

والمقصود من الدعاء أيضا: أن يصير العبد مشاهدا لحاجة نفسه ولعجزها وأيضا مشاهدا لكون مولاه موصوفا بكمال القدرة والرحمة، فالدعاء بفضل الله تعالى لأبواب الخير مفتاحا، وبنص رسول الله ﷺ للمؤمنين سلاحا، والله تعالى يطلب منا أن ندعوه لأنه يرى أننا سنستشعر في لحظات متعددة عجزنا عن أشياء، فبدل أن تظل مقهورا بصفة العجز عن الشيء، اذكر أن لك ربا قويا، وساعة تذكر أن لك ربا قويا فالأسباب إذا لا تأخذك من حظيرة الإيمان، وما دام الأمر كذلك فلا يحمل الإنسان هما للحياة، لأن الله هو الذي طلب منا أن ندعوه.

أسأل الله تعالى فأقول له جل في علاه: اللهم وإلى جناب رسولك ﷺ ننتسب فلا تبعدنا وببابك نقف فلا تطردنا وإياك نسأل فلا تخيبنا، صل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد ما في الأرض والسماء، وعلى جميع الملائكة والأنبياء، وعلى سائر العلماء والأولياء، صلاة تملأ سائر الأقطار والأرجاء، وحققنا بحقائق الصفات والأسماء، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وقنا بها شر الحساد والأعداء.

خطة البحث

لقد جاء هذا البحث بعون الله في فصلين يسبقهما مقدمة وتمهيد وتتلوهما خاتمة.

أما **المقدمة**

فقد اشتملت على تمهيد بينت فيه أهمية الدعاء وأسباب اختياره. ثم خطة البحث.

وأما **الفصل الأول**: فجاء تحت عنوان معنى الدعاء وآدابه، وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: معنى الدعاء لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: آداب الدعاء.

الفصل الثاني: بعض دلالات الدعاء العقدية، وقد اشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: دلالة الدعاء على العبودية.

المبحث الثاني: دلالة الدعاء على الإيمان وزيادته.

المبحث الثالث: دلالة الدعاء على بعض الصفات الإلهية.

المبحث الرابع: الدعاء وإجابة المطلوب.

المبحث الخامس: الدعاء والقضاء والقدر. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر.

المطلب الثاني: الدعاء بين القضاء والقدر.

المبحث السادس: هل يرد الدعاء القضاء؟

الخاتمة

المصادر والمراجع

الفهرس

الفصل الأول

معنى الدعاء وآدابه.

المبحث الأول

معنى الدعاء لغة واصطلاحا

قبل الخوض في معنى الدعاء في اللغة والاصطلاح لا بد من ترجمتها وتفسيرها من حيث كتب المعاجم وما أصلها؟ فأقول:

عند البحث عن مادة كلمة: الدعاء، وجدت مادتها في المعجم (د ع و) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، ففيه إعلال بالقلب، أصله دعو، جاءت الواو متحركة بعد فتح فقلبت ألفا، وفي الصحاح: الدعاء بضم الدال مشددة وفتح العين وبالمد: واحد الأدعية، وأصله دعاء لأنه من: دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت. وتقول: دعا دعاء، وفلان داعي قوم وداعية قوم: أي يدعو إلى بيعتهم دعوة. والجميع: دعاة. والدعاء الدعو: مصدر دعا يدعو دعوا ودعاء، وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف فيقول: الدعوى، وتقول للمرأة: أنت تدعين، ولغة ثانية: أنت تدعوين، وللجماعة أنتن تدعون مثل الرجال سواء.

وأما الدعاء في اللغة فهو: بمعنى النداء والطلب. وذكر هذا المعنى للدعاء في اللغة والاصطلاح أيضا كثير من العلماء، وهو أكثر استعمالا من المعاني الأخرى في الكتاب والسنة واللغة، ولسان الصحابة، ومن بعدهم من

العلماء.

وأما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء من أصحاب المعاجم وغيرهم في معناه بالإضافة إلى المعنى السابق، وإن كان أغلبها متقارب الكلمات ومتحد في المعنى، وها أنا ذا أذكر جملة منها :

فمن ذلك قولهم: هو بمعنى الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال، ومعنى الابتهال: الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه لله عز وجل، وقيل: هو قول يطلب به الإنسان إثبات حق على الغير، وقيل: طلب الطالب للفعل من غيره، وقيل: الدعاء إلى الله على وجهين: الأول: طلب في مخرج اللفظ، والمعنى على التعظيم والمدح. والثاني: الطلب لأجل الغفران أو عاجل الإنعام، وقيل: كلام إنشائي دال على الطلب مع خضوع، ويسمى سؤالا أيضا، وقيل: ما يبتهل ويتضرع به إلى الله من القول أو ما يتوسل به إلى كبير أو عظيم، وقيل: معناه استدعاء العبد ربه عز وجل العناية واستمداده إياه المعونة، وقيل: حقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود، والكرم إليه، وقيل: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه، وقيل: هو الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فيها عنده من الخير والتضرع إليه في تحقيق المطلوب

والنجاة من المرهوب . (١)

وقيل غير ذلك من المعاني العظيمة والتي وإن اختلفت عباراتها فهي ترجع إلى الرغبة والسؤال وإمالة الشيء إليك بصوت أو كلام يكون منك.

وعند تصفح كلام ربنا عز وجل نجد أن القرآن الكريم قد ورد فيه لفظ: الدعاء، كـ (اسم) في مواضع كثيرة، (فعل) في مواضع أخرى عديدة، هذه المواضع التي ذكرها القرآن قد فسرها العلماء الأجلاء وتعرضوا لمعانيها، وجزء من تلك المعاني يرجع إلى ما ذكر، وسأذكر جزءا من تلك المعاني وغيرها مستشهدا بالآيات القرآنية، وعزو المعنى إلى تفسير من التفاسير المعتمدة والاكتفاء فقط بالمعنى ومن أراد الزيادة فليطالع كتب التفاسير.

وأقول: هذه المعاني استخدمها العرب فيصح جزء منها إطلاقه على معنى الدعاء لغة، وأحيانا استعمل الشرع جزءا من تلك المعاني، ولا أستطيع حصر كل ما ورد في القرآن من آيات وذكر معانيها لئلا يطول بنا البحث، ولكني أذكر جملة يسيرة مفيدة، فأقول:

١- جاء الدعاء بمعنى: التعبد والعبادة، من ذلك قوله تعالى: "قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا وَنُرَدُّ عَلى أَعْقابِنا بَعْدَ

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٤٣٧/٨، أحكام القرآن لابن العربي ٣٥١/٢، معجم مقاييس اللغة ٢٨٠/٢، العين ٢٢٢/٢، جمهرة اللغة ٦٦٦/٢، تاج العروس ٤٦/٣٨، مقاييس اللغة ٢٧٩/٢، وما بعدها، لسان العرب ٢٥٧/١٤، التعريفات ص ١٠٤، شأن الدعاء ٣/١، المخصص ٥٧/٤وما بعدها، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٧٨٥/١، الجدول في إعراب القرآن ١٧٠/٣، التعريفات الفقهية ص ٩٥.

إِذْ هَدَانَا اللهُ"(١) يقول الفخر الرازي(٢): اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام وهي مؤكدة لقوله تعالى قبل ذلك: "قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ"(٣) فقال: "قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ" أي أنعبد من دون الله النافع الضار ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضرنا، ونرد على أعقابنا راجعين إلى الشرك بعد أن أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام؟(٤) ومن ذلك قوله تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) جزء من الآية رقم ٧١ من سورة الأنعام.

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الإمام ، فخر الدين الرازي أبو عبد الله ، إمام المتكلمين والمفسر، قرشي النسب وأصله من طبرستان ، ومولده في الري من أعمال فارس عام أربع وأربعين وخمسمائة، وإليها نسبته ، ويقال له: ابن خطيب الري ، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان ، وأخذ عنه خلق كثير، وكان ذا ثروة ومماليك واحترام لدى الملوك ، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية، وتوفي في هراة عام ست وستمائة. من تصانيفه: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ومعالم أصول الدين ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. ينظر طبقات الشافعية الكبرى ٨١/٨، معجم المؤلفين ٧٩/١١، سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١، الأعلام للزركلي ٣١٣/٦.

(٣) جزء من الآية رقم ٥٦ من سورة الأنعام.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٢٥/١٣، روح البيان ٥٢/٣.

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"(١) يقول الطبري(٢): يقول ربكم: أيها الناس ادعوني: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك (أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يقول: أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم.(٣) ومنها قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

---

(١) الآية رقم ٦٠ من سورة غافر. وينظر تفسير الطبري ٤٠٦/٢١، المنهاج في شعب الإيمان ٥١٧/١.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين وكان أسمر أعين مليح الوجه مديد القامة فصيح اللسان وروى الكثير عن الجم الغفير، وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات كلها بصيرا بالمعاني فقيها في الأحكام عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث وصنف التاريخ الحافل وله التفسير وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع، وقد روى عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته. ينظر تاريخ بغداد ١٦٢/٢، البداية والنهاية ١٤٥/١١، طبقات الشافعية ١٠٠/١، طبقات المفسرين ص ٩٥.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٤٠٦/٢١، وكثير من المفسرين فسر الدعاء هنا بمعنى العبادة. وينظر المنهاج في شعب الإيمان ٥١٧/١.

أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ"(١) يقول الحافظ ابن كثير(٢): يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدهونهم وتعبدونهم من دون الله، ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه... الخ(٣)

٢- وجاء بمعنى: الاستعانة والاستغاثة، ومنه قوله تعالى: "قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"(٤) يقول الطبري: وتأويل الكلام: قل يا محمد ﷺ لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام: أخبروني إن جاءكم أيها القوم عذاب الله كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالصاعقة أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم وتبعثون لموقف القيامة، أغير الله

---

(١) جزء من الآية رقم ٣٧ من سورة الأعراف وينظر تفسير ابن كثير ٣٦٩/٣.

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الأموي، الشيخ عماد الدين أبو الفداء المعروف بابن كثير صاحب التفسير والبداية والنهاية وغيرها من المؤلفات النافعة، تخرج بابن تيمية. ومولده سنة إحدى وسبعمائة وتوفي بدمشق في يوم الخميس سادس عشر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة. ينظر ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ٤٧١/١ وما بعدها، الأعلام للزركلي ٣٢٠/١.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٣٦٩/٣.

(٤) الآية رقم ٤٠ من سورة الأنعام وينظر تفسير الطبري ٣٥٣/١١.

هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء أو إلى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء؟(١) ومنه قوله سبحانه: "وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا "(٢) يقول الطبري: وإذا نالتكم الشدة والجهد في البحر ضل من تدعون: يقول: فقدتم من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، وجار عن طريقكم فلم يغثكم، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه، فلما دعوتموه وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالألوهة كفرا منكم بنعمته (وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا) يقول: وكان الإنسان ذا جحد لنعم ربه. (٣)ومنه قوله تعالى: "يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ"(٤) يقول الطبري: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتدّ عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تضرّه إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٣٥٣/١١، تفسير السمعاني ١٠٣/٢.

(٢) جزء من الآية رقم ٦٧ من سورة الإسراء.

(٣) تفسير الطبري ٤٩٧/١٧.

(٤) الآية رقم ١٢ من سورة الحج.

الآخرة إن عبدها(١).

٣-وجاء الدعاء بمعنى التوحيد: ومنه قوله تعالى: "وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا"(٢). يقول الطبري: وأنه لما قام محمد رسول الله ﷺ يدعو الله يقول: " لا إله إلا الله" "كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا" يقول: كادوا يكونون على محمد ﷺ جماعات بعضها فوق بعض، واحدها لبدة.(٣)

٤-وجاء أيضا بمعنى النداء: ومنه قوله تعالى: "فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ".(٤) يقول الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى "وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ"(٥): لا شبهة في أن المراد من هذا النداء دعاؤه على قومه بالعذاب ويؤيده حكاية الله تعالى عنه ذلك تارة على الإجمال وهو قوله: "فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ" وتارة على التفصيل وهو قوله: "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" (٦)

٥-وجاء بمعنى القول: ومنه قوله تعالى: "دَعْوَاهُمْ فِيهَا

(١) تفسير الطبري ٥٧٧/١٨.
(٢) الآية رقم ١٩ من سورة الجن.
(٣) تفسير الطبري ٦٦٦/٢٣.
(٤) الآية رقم ١٠ من سورة القمر.
(٥) جزء من الآية رقم ٧٦ من سورة الأنبياء.
(٦) تفسير الرازي ١٦٢/٢٢.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"(١) .يقول السمرقندي(٢): "دَعْواهُمْ فِيها" يعني: قولهم في الجنات: "سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ" فهذه علامة بينهم وبين خدمهم في الجنة، فإذا قالوا هذه المقالة جاءهم الخدم بالموائد ووضعوها بين أيديهم وأوتوا بما يشتهون. فإذا فرغوا من الطعام، قالوا: الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله تعالى: "وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ" يعني: وآخر قولهم بعد ما فرغوا من الطعام أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين.(٣)

٦-وجاء بمعنى التسمية ومن ذلك قوله تعالى: "لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا"(٤)وفي هذه

---

(١) الآية رقم ١٠ من سورة يونس.

(٢) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي الحنفى، له تصانيف عدة منها: تفسير القرآن وكتاب النوازل في الفقه وخزانة الأكمل وتنبيه الغافلين وبستان العارفين وغير ذلك، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وقيل في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وقيل ثمان وسبعين- ينظر المقتنى في سرد الكنى ٣٦/٢، سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٦، ٣٢٣، طبقات الحنفية ١٩٦/٢، طبقات المفسرين للداودي ص٩١.

(٣) تفسير السمرقندي ١٠٥/٢.

(٤) جزء من الآية رقم ٦٣ من سورة النور.

الآيـة تعظيم لسيدنا رسول الله ﷺ يقول السمرقندي: يعني: لا تدعوا محمدا ﷺ باسمه ﷺ كدعاء بعضكم بعضا ولكن وقروه وعظموه، وقولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، ويا أبا القاسم. وفي الآية بيان توقير معلم الخير، لأن رسول الله ﷺ كان معلم الخير، فأمر الله عز وجل بتوقيره وتعظيمه، وفيه معرفة حق الأستاذ، وفيه معرفة أهل الفضل.(١)

وأقول: لقد تكرر لفظ الدعاء في القرآن الكريم ومشتقاته فجاء مصدرا وفعلا وغير ذلك، وتكررت إطلاقاته على حسب ما ورد في الآيات الكريمة، وكل ذلك يعتبر ورد عند العرب، والأمر واسع في إطلاقات القرآن على كلمة الدعاء، ولقد قمت بحصر مشتقات الدعاء في القرآن فوجدتها بلغت مبلغا كبيرا، ولو أردت استقصاء معانيها عند العرب أو عند المفسرين لكلام الله تعالى طال بي البحث ، ولكني اكتفيت هنا بذكر أمثلة لبعض معاني الدعاء عند العرب وعند المفسرين أخذا من كلام الله عز وجل.

---

(١) تفسير السمرقندي ٢/٥٢٧.

المبحث الثاني
آداب الدعاء

الحديث عن الدعاء وآدابه التي يجب على الداعي أن يتحلى بها، وعن شروطه التي ينبغي أن تكون في المرء لتتحقق له الإجابة، وعن أركانه التي لا بد منها عند من يدعو، وإجابة الداعي التي هي غاية المطلوب، الحق أقول: إن من العلماء من ألف وصنف في ذلك كتبا مستقلة حديثها فقط عن الدعاء، وهم كثرة، ومن علمائنا من تناول هذه الأمور ضمن كتابه الذي تناول موضوعات شتى ونرى ذلك في كتب السنة.

هذه الكتب التي أفردت الدعاء بالتأليف، وأخواتها ممن لم يفرده بالتصنيف بل تناولته ضمن موضوعاته، قد تناولت الدعاء وما فيه من الأسرار والنفحات، وتناولت مقامات وأحوال الداعين وما يعرض لهم من الفتوحات، وآداب الدعاء وشرائطه وأركانه وحكمه وما يرجى فيه الإجابة من أفضل وأسعد الأوقات، وبينت ألفاظ الأدعية الجامعة الواردة عن سيد البرية ﷺ، وبينت أيضا ابتهالات وتضرع الصالحين والصالحات، وأيضا بينوا موانع الإجابة والدخول في حضرة المجيب المتفضل المعطي من عدم رفع الأيدي أصلا في ساعة من الساعات، وما في ذلك كله مما مضى من عبر ودروس وتنزيه وتقديس وعظيم لجناب مولانا عز في علاه وتقدس فهو خالق الكائنات.

فلعلي على قدر جهدي أجمع هنا ما يتعلق بشرائط الدعاء وأركانه وآدابه، ولا أقول إني جمعت كل الآداب والشروط والأركان، بل ما استطعت

إلى ذلك سبيلا .

ولكن أود التنبيه على أمر مهم وهو:

عند قراءتي للآداب والشروط و الأركان وجدت في بعض الكتب عند أصحابها من يسميها آدابا وآخر يسميها ركنا وآخر يطلق عليها شرطا، بمعنى أنك تجد أدبا من آداب الدعاء عند البعض يسميه أدبا وهو هو عند الثاني شرطا وعند الثالث ركنا، وعند الرابع سنة.

فاختلفت تسميتها بين العلماء وتنوعت عباراتهم في الإطلاقات لهذه الآداب والشروط.

وأقول لعل السبب في ذلك والله أعلم أن هذه الجملة من الآداب ليست جميعها في مرتبة واحدة من حيث أهمية الدعاء وتحقق المطلوب، فبعضها أهم من الآخر، ظهر ذلك جليا في ظاهر أحاديث سيدنا محمد ﷺ وعبارات المؤلفين والعلماء الأجلاء.

فعند اطلاعي على بعض الكتب التي ألفها أصحابها في الدعاء أو تناولت الدعاء في موضوعاتها البعض منهم عبر عنها بالشرط وأبين ذلك في الهامش.(١) والبعض الآخر سماها آدابا وأبين ذلك في

---

(١) منهم على سبيل المثال:

الإمام القرطبي في تفسيره نقلا عن الإمام سهل بن عبد الله التستري بأنه قال: شروط الدعاء سبعة، وعدها، ومنهم الإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح عند الحديث عن من اعترض على تخلف وقوع الإجابة، بأن ذلك سببه وقوع الخلل في شرط من==

الهامش أيضا.(١)

==شروط الدعاء وعد جزءا منها، والقسطلاني في إرشاد الساري، وكذلك العيني في٠عمدة القاري، والمباركفوري في تحفة الأحوذي نقلا عن المناوي، والزرقاني في شرحه على موطأ الإمام مالك، والمناوي في فيض القدير، وفي التيسير، والقاري في مرقاة المفاتيح، والدمياطي في إعانة الطالبين، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى نقلا عن الإمام ابن جماعة، والأبشيهي في المستطرف.

ينظر تفسير القرطبي ٣١١/٢، فتح الباري ٣٢/٣، إرشاد الساري ١٨٨/٩، عمدة القاري ٢٠١/٧، تحفة الأحوذي ٥٣٣/١، ٣١٦/٩، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٢١٢/١، ٤٤/٢، ٥١/٢، فيض القدير ٤٠٩/١، ٥٤١/٣، ٨١/٤، التيسير بشرح الجامع الصغير ١١/٢، مرقاة المفاتيح ١٢٥/٥، إعانة الطالبين ٨٤/١، ٩١/٢، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٤٢/٩، المستطرف في كل فن مستظرف ٥٣٠/٢.

(١) ومنهم على سبيل المثال:

الفخر الرازي في التفسير الكبير، والإمام السعدي في تفسيره، والإمام الألوسي في التفسير، والإمام المتقي الهندي في كنز العمال، والإمام البيهقي في الدعوات الكبير، والإمام ابن الجوزي في تنوير الغبش، والإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح، والمباركفوري في تحفة الأحوذي، والإمام شمس الحق آبادي في عون المعبود، والإمام المناوي في فيض القدير، والإمام العراقي في طرح التثريب، والسبكي في فتاويه، وابن همام في سلاح المؤمن.

التفسير الكبير ١٦٥/٢١، تفسير السعدي ٢٩٢/١، تفسير الألوسي ٨١/١٣، ٥٢/١٥، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٣٢/٢، الدعوات الكبير ٣٤/٢، تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ص ٢٥٥، فتح الباري ١٤١/١١، تحفة الأحوذي==

وغير ذلك من العلماء، مع الأخذ بعين الاعتبار أن من العلماء كابن حجر(١) مثلا هو بعينه في فتح الباري كان حينا يطلق على بعضها: الآداب والبعض الآخر: الشروط، وكلاهما في الفتح ونبهت على مواضعها في الهامش.

وأما من أطلق عليها أركانا وأسبابا فهو الإمام ابن عطاء الله

==٢٤٣/٧، ٣١٦/٩، عون المعبود ١٢٧/٣، فيض القدير ٣٠/٤، طرح التثريب في شرح التقريب ١٠٦/٣، فتاوى السبكي ١٠٩/١، سلاح المؤمن في الدعاء ص٩٧ وما بعدها.

(١) شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ في زمانه، شهاب الدين، أبو الفضل، قاضي القضاة، أحمد بن علي بن محمد بن محمد الكناني، ثم المصري، الشافعي، المشهور بابن حجر العسقلاني، مصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وطلب الحديث من سنة أربع وتسعين وسبعمائة فسمع الكثير، ورحل ولازم شيخه الحافظ أبى الفضل العراقي، وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه، وصنف في الحديث والتاريخ والأدب والفقه وغير ذلك، ومن مصنفاته التي عم النفع بها فتح الباري شرح صحيح البخاري قال الحافظ السيوطي: لم يصنف أحد في الأولين ولا في الآخرين مثله، والإصابة في تمييز الصحابة، توفي في ذي الحجة سنة اثنين وخمسين وثمانمائة.

ينظر طبقات الحفاظ ص٥٥٢ ، ٥٥٣، البدر الطالع ٨٧/١ وما بعدها، شذرات الذهب ٢٧٠/٧ وما بعدها، الضوء اللامع ٣٦/٢ ، معجم المؤلفين ٢٠/٢ ، ٢١، الأعلام للزركلي ٨٠/٣، المنجد في اللغة والأعلام ص٩ "أعلام " للويس معلوف، ط دار الشرق.

السكندري(١) ونقل ذلك عنه الإمام القرطبي(٢) في التفسير فقال: وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح، فأركانه: حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته: الصدق،

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري الشيخ تاج الدين أبو الفضل من أهل الإسكندرية كان شافعي المذهب وقيل كان مالكيا وكان إماما عارفا صاحب إشارات وكرامات وقدم راسخ في التصوف صحب الشيخ أبا العباس المرسي تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخذ عنه، واستوطن الشيخ تاج الدين القاهرة يعظ الناس ويرشدهم، وله الكلمات البديعة دونها أصحابه في كتب جمعوها من كلامه، قال الذهبي: كانت له جلالة عجيبة ووقع في النفوس ومشاركة في الفضائل، ومن مصنفاته كتاب التنوير في إسقاط التدبير، توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعمائة. ينظر طبقات الشافعية الكبرى ٢٣/٩، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣٢٤/١، شذرات الذهب ١٩/٦، البدر الطالع ١٠٧/١.

(٢) الشيخ الإمام أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي الخزرجي المالكي القرطبي المفسر أبو عبد الله: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح بإسكان الراء والحاء المهملة، مصنف التفسير المشهور، قال عنه الذهبي: إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل علي إمامته وكثرة اطلاعه ووفور علمه وفضله منها التفسير المشهور: الجامع لأحكام القرآن وله شرح أسماء الله الحسنى وكان مستقرا بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى وتوفي بها ودفن في شوال من سنة إحدى وسبعين وستمائة. ينظر طبقات المفسرين للداودي٢٤٦ /٢٤٧، الوافي بالوفيات ٨٧/٢ ، الديباج المذهب ص ٣١٧ ، تاريخ الإسلام ٧٤/٢٠.

ومواقيته: الأسحار، وأسبابه: الصلاة على سيدنا محمد ﷺ ... الخ(١)

وإذا طالعنا كتاب المنهاج في شعب الإيمان للحليمي(٢) وذلك في باب الرجاء من الله جل جلاله وهو الباب الثاني عشر من شعب الإيمان عنده، نجده قد فصل القول في الحديث عن الدعاء وآدابه وعن شروطه وعن أركانه وأحواله وأوقاته، بحيث قد أتى على جمل طيبة جميلة وبين ذلك مستشهدا بالقرآن وبأحاديث نبينا محمد ﷺ، ، ونقل أيضا بعض العلماء عنه ذلك.(٣)

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٣١١/٢، المستطرف في كل فن مستظرف ٥٣٠/٢.

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم القاضي أبو عبد الله الحليمي البخاري، أوحد الشافعيين بما وراء النهر، وأنظرهم، بعد أستاذيه أبي بكر القفال، والأوداني، وكان مقدما، فاضلا كبيرا، له مصنفات مفيدة، فنقل منها الحافظ البيهقي كثيرا، عنه: الحاكم مع تقدمه، وأبو زكريا عبد الرحيم البخاري، كان مولده بجرجان، وقيل: ببخاري، سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة، وتوفي في ربيع الأول سنة ثلاث وأربع مائة. سير أعلام النبلاء ٢٣١/١٧، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٣٣/٤، طبقات الشافعيين لابن كثير ص ٣٥٠، الأعلام للزركلي ٢٣٥/٢.

(٣) فنجد السبكي في طبقاته يقول: ومن شعره أيضا:

قالوا شروط الدعاء المستجاب لناعشر بها بشر الداعي بإفلاح

طهارة وصلاة معهما ندم وقت خشوع وحسن الظن يا صاح

وحل قوت ولا يدعى بمعصية واسم يناسب مقرون بإلحاح

ينظر المنهاج في شعب الإيمان ٥١٧/١ وما بعدها، طبقات الشافعية الكبرى ١٤٢/٩ ، ونظم ابن العماد آداب الدعاء في شعر أيضا فقال: ==

وهناك جانب آخر عند الإمام الخطابي(١) في كتابه شأن الدعاء، حيث أطلق على بعضها بأنها شرائط صحة فقال بعد الحديث عن معنى الدعاء: وإذا ثبت معنى الدعاء، ووجوب العملِ به، فإن من شرائط صحته: أن يكون ذلك من العبد بإخلاص نيته ولإظهار فقر ومسكنة وعلى حال ضرع وخشوع، وأن يكون على طهارة من الداعي، واستقبال للقبلة، وأن يقدم الثناء على الله عز وجل والصلاة على رسول الله ﷺ أمام دعائه. اهـ ثم ذكر رحمه

==واجلس إلى قبلة بالحمد مبتدئا وبالصلاة على المختار من رسل
وامدد يديك وسل فالله ذو كرم واطلب كثيرا وقل يا منجح الأمل
ببسط كف خذ الأقوال ثالثها عند البلاء بظهر الكف وابتهل
برفع كف أم الإطراق قد ذكروا قولين أقواهما رفع بلا حول
إن السما قبلة الداعين فاعن بها كما دعا سادة فاختره وانتحل

ينظر إعانة الطالبين ١٨٦/١.

(١) حمد بن محمد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، أبو سليمان الخطابي البستي الأديب، من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، رحل في طلب الحديث وطوّف، وألّف في فنون العلم وصنّف، وأخذ فقه الشافعيّ عن القفّال الشاشي وسمع بالبصرة وبمكة وببغداد وبنيسابور في خلق كثير وغير ذلك، وصنف كتاب غريب الحديث وكتاب معالم السنن وشرح أسماء الله وشأن الدعاء وغير ذلك. مولده في رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة، توفي ببست في ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. ينظر التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ص ٢٥٤، معجم الأدباء ٤٨٦/٢، الدر الثمين في أسماء المصنفين ص ٢٨٦، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ص ٣٠).

الله سننا ومكروهات الدعاء(١)، إلى آخر ما ذكره نفعنا الله به وبعلمائنا وبالصالحين.

وعند الإمام الزركشي(٢) في كتابه الأزهية في أحكام الأدعية، ذكر رحمه الله شروطا ونقل منها ما هو عند الإمام الحليمي وغير ذلك، ثم ذكر آدابا للدعاء بعد ذلك.

وأما الإمام الطرطوشي(٣) في كتابه: الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص ١٣، ٢٠.

(٢) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين المصري الشافعي، الإمام العلّامة المصنّف المحرّر، تركي الأصل، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وتوفي بمصر في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ودفن بالقرافة الصّغرى، وأخذ عن الشيخين جمال الدّين الإسنوي، وسراج الدّين البلقيني، ورحل إلى حلب، وسمع الحديث بدمشق وغيرها، وكان فقيها، أصوليا، أديبا، فاضلا في جميع ذلك، ودرّس وأفتى، وولي مشيخة خانقاه كريم الدّين بالقرافة الصّغرى. من مصنفاته: البحر المحيط، وإعلام الساجد بأحكام المساجد وغير ذلك. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥٧٢/٨، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ١١٢/٣، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١٣٣/٥، الأعلام للزركلي ٦٠/٦.

(٣) محمد بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي المالكي المعروف بابن أبي زيد، نزيل الإسكندرية، وأحد الأئمة الكبار، والطّرطوشي نسبة إلى طرطوشة من نواحي الأندلس وكانت ولادته سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وتوفي ثلث الليل الآخر سادس عشري جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة بثغر الإسكندرية، وصلى عليه ولده محمد، أخذ عن أبي الوليد الباجي، ورحل فأخذ عن أبي على التّستري، وسمع ببغداد ==

الداعي إتيانه واجتنابه، فقد ذكر آدابا للدعاء وأطلق على بعضها في أثناء الحديث عنها شروطا، فمثلا عند الحديث عن أكل الحلال، قال رحمه الله: ومن آدابه أكل الحلال ، ولعل هذا من شروطه. إلى غير ذلك مما ورد عندهم . (١)

وأقول: بعد هذا العرض يتبين اختلاف العلماء في التسمية بالآداب، أو بالشروط، أو بالسنن، أو بالأركان، وأن بعضهم أحيانا يعد أدبا من آداب الدعاء في حين أن غيره يعده شرطا، وأحيانا يعده نفس المؤلف شرطا، وآخر يعده من السنن.

وأرى أنه وإن اختلف علماؤنا في التسمية بالشرط أو الأدب أو غير ذلك، فالكل منهم متفق على أهمية الدعاء وعلى أن يكون حظنا من الدعاء امتثال الأمر، فالله تعالى أكرم من أن يبسط العبد يده بالدعاء ثم يرده وذلك بعد تحقق ما ذكره علماؤنا من الآداب أو الشروط، ومن نظر بعين الحق والإنصاف وجد صدق كلام العارفين بالله وغيرهم من العلماء الأجلاء وهو:

إذا فتح الله على الإنسان بأن أفيض على قلبه نورا فيشرح به صدره للدعاء، فإن الله يستجيب له ويعطيه وإلا فهو سبحانه أطلق الاستجابة

==والشام وغيرها، وتفقه على أبي بكر الشّاشي.وكان إماما عالما زاهدا ورعا متقشفا متقللا من الدنيا راضيا باليسير. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١٠٢/٦، الأعلام للزركلي ١٣٣/٧.

(١) الأزهية ص ٥٧ وما بعدها، ص ٧٠ وما بعدها، الدعاء المأثور وآدابه ص ١٧ وما بعدها، ص ٢٥.

للداعي ولم يخص ذلك بوقت.

ويرحم الله الإمام ابن عطاء الله عندما قال:

إنما أورد عليك الوارد لتكون عليه واردا.

متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك.

إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك، فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مهديها إليه. وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك؟

وعند الفتح تتوجه رحمة الله للعبد وإذا توجهت لا يتعاظمها شيء لأنها وسعت كل شيء، وتخلف الإجابة كثيرا لتخلف بعض شروط الدعاء وأركانه وأسبابه.(١)

وسأذكر الآن بعض ما ورد من آداب الدعاء وشروطه وهذا الترتيب هو اجتهاد مني، لأن العلماء الذين ذكروا هذه الآداب رتب كل واحد منهم ترتيبا غير الآخر، وأحيانا يتفق بعضهم في ترتيب الآداب أو الشروط، وها أنا ذا أذكر ترتيبا آخر على قدر جهدي سائلا المولى أن يتقبل مني ومن جميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، فأقول:

أحدها: إصلاح الباطن باللقمة الحلال. لأن أكل الحرام وما كان في معناه يمنع من إجابة الدعاء ألا ترى قول من لا ينطق عن الهوى ﷺ من

---

(١) إيقاظ الهمم بشرح الحكم لابن عجيبة ص ١٨، ٣٥، ٧٧، فيض القدير ١/٤٠٩.

حديث أبي هريرة ﷺ (١) قال: قال رسول الله ﷺ "أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال "يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا من الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إني بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ"(٢) وقال: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا من طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ"(٣) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث(٤)

---

(١) اسمه على الأشهر: عبد الرحمن بن صخر ، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس فكناه رسول الله ﷺ بأبي هريرة ، أسلم سنة سبع ، وحفظ عن رسول الله ﷺ كثيرا وعن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب ، وكان من أوعية العلم وحفظ عنه الكثير ، فهو من كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع ، قال البخاري: روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر ، وكان من أصحاب الصفة فقيراً واختلف في وفاته فقيل سنة ثمان وخمسين وقيل تسع وقيل سبع وتوفى في المدينة في خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة. ينظر التاريخ الكبير ١٣٢/٦ ، تذكرة الحفاظ ٣٢/١ : ٣٧ ، سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢ ، ٥٧٩ ، تهذيب التهذيب ٢٨٨/١٢.

(٢) الآية ٥١ من سورة المؤمنون.

(٣) جزء من الآية رقم ١٧٢ من سورة البقرة.

(٤) التَّشَعُّثُ (: تَلَبُّدُ الشَّعَرِ) والتَّغَبُّرُ، يُقَال: تَشَعَّثَ، إِذا تَلَبَّدَ شَعَرُه واغْبَرَّ، وشَعَّثْتُه أَنا تَشْعِيثاً، شَعِثَ شَعَثاً وشُعُوثَةً، فَهُوَ شَعِثٌ وأَشْعَثُ وشَعْثانُ، وتَشَعَّثَ: تَلَبَّد شعَرُه واغْبَرَّ، وشَعَّثْتُه أَنا تَشْعِيثاً. والشَّعِثُ: المُغْبرُّ الرأْسِ، المُنْتَتِفُ الشَّعَرِ، الحافُّ الَّذِي لَمْ يَدَّهِنْ، وفي الحديث "«أسألُك رَحْمَةً تَلُمّ بِهَا شَعَثِي» أَيْ تجمَعُ بِهَا مَا تفرَّق مِنْ أمْرِى. " فيض القدير ٤٠١/٣، لسان العرب ١٦٠/٢، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٧٨/٢، تاج العروس ٢٨٠/٥.

أغبر(١) يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك". (٢)

يقول الإمام النووي:(٣) وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الاسلام

---

(١) غَبَرَ بمعجمة وموحدة مفتوحتين: هو من الأضداد يطلق على ما مضى وعلى ما بقي، وغُبَّرِ بِضَمِّ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ وَمَعْنَاهُ البقايا، جمع غابر، والغبارُ والغَبَرَةُ، واحد، وهو المغبر الرأس، والغُبْرَةُ: لون الأغْبَرِ، وهو شبيه بالغُبارِ. ويقال: اغبر الشيء اغبرارا، والغبراء: الأرض، وَالْأَغْبَرُ: كُلُّ لَوْنٍ لَوْنُ غُبَارٍ. ينظر شرح النووي على مسلم ٢٦/٣، ١٩٢/٨، فتح الباري لابن حجر ١٢٠/٦، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٧٦٥/٢، مقاييس اللغة ٤٠٩/٤.

(٢) صحيح مسلم ٧٠٣/٢ ح رقم ١٠١٥، سنن البيهقي الكبرى ٣٤٦/٣ ح رقم ٦١٨٧.

(٣) يحيى بن شرف بن مري (بضم الميم وكسر الراء) بن حسن بن حسين محمد بن جمعة بن حزام، الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا الحزامي بكسر الحاء المهملة، وبالزاي المعجمة، النووي، ويجوز كتبها بالألف: (نواوي) وكان يكتبها هو بغير الألف، الحافظ الفقيه الشافعي النبيل، محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه، أحد العباد والعلماء الزهاد، كان رحمه الله على جانب كبير من العلم والزهد والتقشف والاقتصاد في العيش والصبر على خشونته، والورع الذي لم يبلغه أحد في زمانه، ولا قبله بدهر طويل، وكان يتوسم فيه النجابة من صغره، ومكث قريبا من سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض، ولد في العشر الأواسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مائة، ونشأ ببلده نوى، وتمرض عند أبيه بنوى إلى أن توفي ودفن بها ليلة أربع وعشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مائة، وصلوا عليه بدمشق يوم الجمعة رحمه الله وإيانا، ورثاه غير واحد من الشعراء بمراث جمة. وقد انتفع ==

ومباني الأحكام وقد جمعت منها أربعين حديثا في جزء، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهى عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره. وقوله ﷺ: "ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب" إلى آخره. معناه والله أعلم: أنه يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك. وقوله ﷺ "وغذى بالحرام" هو بضم الغين وتخفيف الذال المكسورة. وقوله ﷺ: "فأنى يستجاب لذلك" أي من أين يستجاب لمن هذه صفته وكيف يستجاب له. اهـ

وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء من هذه صفته. وقيل: الدعاء مفتاح السماء وأسنانه لقمة الحلال. وكما قال الله تعالى لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: يا موسى إن أردت أن يستجاب لك دعاؤك فصن بطنك من الحرام وجوارحك عن الآثام. (١)

ثانيها: أن يبدأ الداعي بالحمد والثناء على الله ثم يصلي على سيدنا رسول

==بتصانيفه وتعاليقه أهل المذهب وغيرهم، والتي منها: ، شرح مسلم، وكتاب تهذيب الأسماء واللغات، وكتاب المنهاج في الفقه. ينظر تاريخ الإسلام ٣٢٤/١٥ وما بعدها، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٩٥/٨، الأعلام للزركلي ١٤٩/٨، طبقات الشافعيين ٩٠٩.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٠/٧، إعانة الطالبين ٩/١، المستطرف في كل فن مستظرف ٥٣٠/٢.

الله ﷺ، فلا يبدأ بالسؤال مباشرة بل عليه أن يبدأ بالذكر، ومن أفضل الذكر الحمد والثناء على الله والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه(١) قال سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ "عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله عز وجل والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدعو بعد بما شاء".(٢)

---

(١) فضالة بن عبيد بن نافد بن قيس بن صهيب بن الأصرم أبو محمد الأنصاري الفقيه من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوه تحت الشجرة، أسلم قديما، ولم يشهد بدرا، وشهد أحدا فما بعدها، وشهد فتح مصر والشام قبله، وخرج إلى الشام، فسكنها، ولاه معاوية قضاء دمشق، وكان خليفة معاوية على دمشق إذا غاب عنها، روى عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب وأبي الدرداء وروى عنه عبد الرحمن بن جبير بن نفير وحنش بن عبد الله الصنعاني وعبد الله بن محيريز مات رضي الله عنه بدمشق سنة ثلاث وخمسين وقيل سنة تسع. ينظر سير أعلام النبلاء ١١٣/٣، تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٠/٤٨، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨٢/٧، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٨٣/٥.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١٨/٦ ح رقم ٢٣٩٨٢، سنن الترمذي ٥١٧/٥ ح رم ٣٤٧٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، صحيح ابن حبان ٢٩٠/٥ خ رقم ١٩٦٠، المستدرك على الصحيحين ٣٥٤/١ ح رقم ٨٤٠، تفسير ابن كثير ٥٠٩/٣، إحياء علوم الدين ٣٠٤/١.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله(١): من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

ثالثها: أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه، جاء ذلك في حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي رواه سيدنا أنس ﷺ(٢) قال: قال:

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، أبو سليمان الدَّارَاني العنسي الزاهد، والداراني نسبة إلى داريا قرية من قرى الغُوطَة بدمشق، والياء في داريا مشددة، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب، والعنسي: بفتح العين المهملة وسكون النون وبعدها سين مهملة، هذه النسبة إلى بني عنس بن مالك. والداراني هو شيخ أهل الشام في زمانه، من أفاضل أهل زمانه وعبادهم، وخيار مشايخ أهل الشام وزهادهم، ولد في حدود الأربعين ومائة، وكانت وفاته سنة خمس ومائتين، وقيل سنة خمس عشرة ومائتين، ﷺ. روى عن: سفيان الثوري، وأبي الأشهب العطاردي، وعبد الواحد بن زيد البصري، وعلقمة بن سويد ، وصالح بن عبد الجليل. وروى عنه: تلميذه أحمد بن أبي الحواري، وهاشم بن خالد، وحميد بن هشام العنسي، وعبد الرحيم بن صالح الداراني. ينظر سير أعلام النبلاء ١٨٢/١٠، وما بعدها، وفيات الأعيان ١٣١/٣، تاريخ الإسلام ١٠٦/٥، وما بعدها، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ٢٢١/٦.

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بعشر سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد والبركة فيهما، ومات سنة إحدى ويقال اثنين ويقال ثلاث وتسعين وهو يزيد على مائة سنة، وهو آخر من مات من الصحابة ومات بالبصرة. شهد بدرا وغزا مع النبي ﷺ ثماني=

رسـول الله ﷺ "إذا دعـا أحـدكم فليعـزم المسـألة ولا يقـولن: اللهـم إن شـئت فأعطني فإنـه لا مستكره لـه"(١) وعن أبـي هريـرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: "لا يقـولن أحـدكم اللهـم اغفـر لـي إن شـئت اللهـم ارحمنـي إن شـئت ليعـزم المسألة فإنه لا مكره له"(٢)

والمراد بالمسـألة الـدعاء، وفسرها حـديث آخـر عـن أنـس قـال: قـال: رسـول الله ﷺ "إذا دعـا أحـدكم فليعـزم فـي الـدعاء ولا يقـل اللهـم إن شـئت فأعطني فإن الله لا مستكره لـه" (٣)

وعـن أبـي هريـرة أن رسـول الله قـال: "إذا دعـا أحـدكم فـلا يقـل اللهـم اغفـر لـي إن شـئت ولكـن ليعزم المسـألة ولـيعظم الرغبـة فـإن الله لا يتعاظمـه شيء أعطاه"(٤)

وعنـه قال: قال: النبي "لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللـهم ارحمني إن شئت ليعزم في الدعاء فان الله صانع ما شاء لا مكره لـه"(٥)

ومعنى الأمر بالعزم: الجد فيه وأن يجزم بوقوع مطلوبـه ولا يعلـق ذلـك

=غزوات. ينظر الإصابة ١٢٦/١ : ١٢٨ بتصرف، رجال صحيح البخـاري ٨٦/١ ، ٨٧، سير أعلام النبلاء ٣٩٥/٣ وما بعدها، شذرات الذهب ١٠٠/١ ، ١٠١.

(١) صحيح البخاري ٢٣٣٤/٥ح رقم ٥٩٧٩.

(٢) صحيح البخاري ٢٣٣٤/٥ح رقم ٥٨٨٠.

(٣) صحيح مسلم ٢٠٦٣/٤ ح رقم ٢٦٧٨

(٤) صحيح مسلم ٢٠٦٣/٤ ح رقم ٢٦٧٩

(٥) صحيح مسلم ٢٠٦٣/٤ ح رقم ٢٦٧٩

بمشيئة الله تعالى وإن كان مأمورا في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى، وقيل معنى العزم: أن يحسن الظن بالله في الإجابة.

قوله "ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني" وفي الحديث الذي بعده "اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت" هذه كلها أمثلة، ومعنى قوله: "ليعظم الرغبة" أي يبالغ في ذلك بتكرار الدعاء والإلحاح فيه، ويحتمل أن يراد به الأمر بطلب الشيء العظيم الكثير، ويؤيده رواية "فإن الله لا يتعاظمه شيء" قوله: "فإنه لا مستكره له" أو "فإنه لا مكره له" وهما بمعنى، والمراد: أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء فيخفف الأمر عليه ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، وأما الله سبحانه فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة، وقيل المعنى أن فيه صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه، والأول أولى.

وقال الحافظ ابن عبد البر:(١) لا يجوز لأحد أن يقول اللهم اعطني إن شئت

---

(١) أبو عمر الإمام الحافظ الكبير البحر العلم: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث، ولد بقرطبة يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي القضاء، وتوفي بشاطبة. سمع الكثير وتبحر في علوم شتى، وصنف الكتب المفيدة النافعة، والتي منها: الدرر في اختصار المغازي والسير والاستيعاب في تراجم الصحابة، وجامع بيان العلم وفضله والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد روى عن الحافظ خلف بن القاسم، وعبد الوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر وغيرهم، وروى عنه ==

وغير ذلك من أمور الدين والدنيا لأنه كلام مستحيل لا وجه له لأنه لا يفعل إلا ما شاءه.

وقال الحافظ ابن حجر: وظاهره أنه حمل النهي على التحريم وهو الظاهر، وحمل النووي النهي في ذلك على كراهة التنزيه وهو أولى، وفي الحديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريما.

وقد قال ابن عيينة: (١) لا يمنعن أحدا الدعاء ما يعلم في نفسه يعني من

==أبو العباس الدِّلائي، وأبو محمد بن أبي قحافة، وأبو الحسن بن مفوّز، وطائفة سواهم، توفي ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة، ودفن يوم الجمعة بعد العصر، قال الذهبي: استكمل رحمه الله خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام. تاريخ الإسلام ١٠/١٩٩، طبقات الشافعيين ص: ٤٥٨، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ٣/٤٣٢، الأعلام للزركلي ٨/٢٤٠.

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عِمران ميمون الهلالي، مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، مولده بالكوفة في سنة سبع ومائة، وتوفي بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة، طلب الحديث وهو حدث بل غلام، ولقي الكبار وحمل .نهم علما جما، وأتقن وجود وجمع وصنف، وعمر دهرا واجتمع الخلق إليه، وانتهى إليه علو الإسناد، سمع من عمرو بن دينار وأكثر عنه وابن شهاب الزهري، وعاصمِ بن أبي النجود، وحدث عنه الأعمش وابن جريج وشعبة وهؤلاء من شيوخه. ينظر سير أعلام النبلاء ط الرسالة ٨/٤٥٤، ميزان الاعتدال ٢/١٧٠، الأعلام للزركلي ٣/١٠٥.

التقصير فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: رب أنظرني إلى يوم يبعثون.(١)

ومعنى قوله: "ليعزم المسألة" أن يجتهد ويلح ولا يقل إن شئت كالمستثنى ولكن دعاء البائس الفقير. قلت وكأنه أشار بقوله: كالمستثنى. إلى أنه إذا قالها على سبيل التبرك لا يكره وهو جيد .(٢)

رابعها: أن لا يمل من الدعاء ولا يستعجل، والأحاديث الدالة على أن دعوة المؤمن لا ترد وأنها إما أن تعجل له الإجابة وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها وإما أن يدخر له في الآخرة خيرا مما سأل كثيرة، فدعاء المؤمن لا يرد غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلا أو آجلا فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض.

فقد صح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "يستجاب لأحدكم ما

---

(١) جاء في كتاب الله تعالى ما قاله إبليس في مواضع، منها: في الآية رقم ١٤ من سورة الأعراف حيث يقول ربنا " قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ " وفي الآية رقم ٣٦ من سورة الحجر حيث يقول ربنا " قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ " وفي الآية رقم من سورة ص حيث يقول ربنا " قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ".

(٢) روح المعاني ٨٧/١٧، الاستذكار ٥٢٥/٢، فتح الباري ١٤٠/١١، عمدة القاري ٢٩٩/٢٢، شرح الزرقاني ٤٧/٢، عون المعبود ٢٤٩/٤، جامع العلوم والحكم ص٣٩٢، إحياء علوم الدين ٣٠٦/١.

لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي"(١)

وعنه أيضا عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء"(٢)

يقول الحافظ ابن حجر: المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء، ومعنى قوله: "يستحسر" وهو بمهملات ينقطع، وفي هذا الحديث دلالة على هذا الأدب وهو ملازمة الطلب والدعاء ولا ييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار، حتى قال بعض السلف: لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة.(٣)

خامسها: أن يترصد لدعائه الأوقات والأحوال الشريفة، كيوم عرفة من السنة، قال رسول الله ﷺ "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء"(٤) والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

---

(١) صحيح البخاري ٢٣٣٥/٥ ح رقم ٥٩٨١، صحيح مسلم ٢٠٩٥/٤ ح رقم ٢٧٣٥.
(٢) صحيح مسلم ٢٠٩٦/٤ ح رقم ٢٧٣٥.
(٣) تفسير البحر المحيط ٥٣/٢، صحيح البخاري ٢٣٣٥/٥ ح رقم ٥٩٨١، صحيح مسلم ٢٠٩٥/٤ ح رقم ٢٧٣٥، فتح الباري ١٤٠/١١
(٤) صحيح مسلم ٩٨٢/٢ ح رقم ١٣٤٨ عن أم المؤمنين عائشة.

وأيضا من الأوقات رمضان من الأشهر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين"(١) وفي رواية "فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين" (٢) وفي رواية "فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين"(٣)

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين"(٤)

وعن سيدنا رسول الله ﷺ قال: "إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد" فكان عبد الله بن عمرو(٥) إذ أفطر دعا أهله وولده ودعا، ويقول إذا أفطر: اللهم

---

(١) صحيح البخاري ٦٧٢/٢ ح رقم ١٨٠٠.

(٢) صحيح مسلم ٧٥٨/٢ ح رقم ١٠٧٩.

(٣) صحيح مسلم ٧٥٨/٢ ح رقم ١٠٧٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣٠٤/٢ ح رقم ٨٠٣٠، سنن الترمذي ٦٧٢/٤ ح رقم ٢٥٢٦، ٥٧٨/٥ ح رقم ٣٥٩٨ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن، صحيح ابن حبان ٢١٤/٨ ح رقم ٣٤٢٨، صحيح ابن خزيمة ١٩٩/٣ح رقم ١٩٠١، سنن ابن ماجه ٥٥٧/١ ح رقم ١٧٥٢، الدر المنثور ٤٤١/١.

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، يكنى أبا محمد، وقيل: يكنى أبا عبد الرحمن، أسلم قبل أبيه وكان فاضلا حافظا عالما، قرأ الكتاب واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه، فأذن له، قال: يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك في ==

إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي.(١)

وقوله ﷺ: "صفدت" بالمهملة المضمومة بعدها فاء ثقيلة مكسورة أي: شدت بالأصفاد وهي الأغلال وهو بمعنى سلسلت، ويحتمل المعنى أن يكون على ظاهره وحقيقته وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين، ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنة، وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات، والأول أوجه ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وفائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين وأنه من الله بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية.

==الرضا والغضب؟ قال: "نعم فإني لا أقول إلا حقا"، واختلف في وقت وفاته، فقيل مات في ولاية يزيد بن معاوية، سنة ثلاث وستين وقيل : مات بمكة سنة سبع وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل: مات سنة ثلاث وسبعين، وقيل: مات سنة خمس وستين، وقيل: سنة خمس وخمسين بالطائف، وقيل: بمصر سنة خمس وستين. ينظر التاريخ الكبير للبخاري ٥/٥، معرفة الصحابة لأبي نعيم ١٧٢٠/٣، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٥٧/٣.

(١) سنن ابن ماجه ٥٥٧/١ ح رقم ١٧٥٣، تفسير ابن كثير ٢٢٠/١.

وقيل في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له قد كفت الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية. (١)

وأيضا يوم الجمعة من الأسبوع فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: "فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأشار بيده: يقللها"(٢) وفي رواية عنه أيضا قال: قال أبو القاسم ﷺ "في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه وقال بيده ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر قلنا يزهدها"(٣)

ووقت السحر من ساعات الليل، قال تعالى "وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"(٤) وقال ﷺ: "إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه"(٥) وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر

---

(١) فتح الباري ١١٤/٤، شرح النووي ١٨٨/٧.
(٢) صحيح البخاري ٣١٦/١ ح رقم ٨٩٣، صحيح مسلم ٥٨٣/٢ ح رقم ٨٥٢.
(٣) صحيح البخاري ٢٠٢٩/٥ ح رقم ٤٩٨٨.
(٤) الآية رقم ١٨ من سورة الذاريات.
(٥) صحيح مسلم ٥٢١/١ ح رقم ٧٥٧ عن جابر بن عبد الله.

له؟"(١)

وقيل: إن يعقوب عليه الصلاة السلام إنما قال: سوف أستغفر لكم ربي. ليدعو في وقت السحر فقيل: إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إني قد غفرت لهم (٢)

وأما عن الأحوال الشريفة فقد قال أبو هريرة ﷺ: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة، فاغتنموا الدعاء فيها. وقال مجاهد: إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات.

وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل، فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها. وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة ﷺ: قال النبي ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء"(٣) وعن عبد الله بن عباس ﷺ (٤) قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس

---

(١) صحيح مسلم ٥٢١/١ ح رقم ٧٥٨.
(٢) إحياء علوم الدين ٣٠٤/١، أضواء البيان ٣٠٣/٤.
(٣) صحيح مسلم ٣٥٠/١ ح رقم ٤٨٢
(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، أبو العباس الهاشمي صحابي جليل، حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ، صحب النبي ﷺ نحوا من ==

صفوف خلف أبي بكر(١) فقال: أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ألا إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما

==ثلاثين شهرا، روى عنه مائتان سوى ثلاثة أنفس، انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح وقد أسلم قبل ذلك، دعا له رسول الله ﷺ بالحكمة، واختلف في مولده فعنه ﷺ أنه قال: قبض النبي ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، وجاء أيضا أنه قال: وأنا ابن عشر سنين، وقيل خمس عشرة سنة، وصوبه ابن حنبل، وكما اختلف في مولده اختلف أيضا في وفاته فقيل: توفى سنة ثمان وستين وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال "اليوم مات رباني هذه الأمة " وكان موته بالطائف، وقيل: توفى سنة تسعة وستين، وقيل: سنة سبعين. ينظر التاريخ الكبير ٣/٥ وما بعدها ، تهذيب التهذيب ٢٤٢/٥ وما بعدها ، تهذيب الكمال ١٥٤/٥ وما بعدها ، صفوة الصفوة ٧٥٧/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٣١/٣ وما بعدها ، الجرح والتعديل ١١٦/٥.

(١) سيدنا عبد الله بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي ثم التيمي، أبو بكر الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، وقيل اسمه عتيق، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر وأسلم أبواه، روى عن النبي ﷺ وعنه عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وزيد بن ثابت وأولاده وخلق كثير، ومناقبه وفضائله كثيرة جدا، وكان أعلم قريش بأنسابها، ولي الخلافة بعد النبي ﷺ سنتين وشيئا وقيل عشرين شهرا، توفي يوم الاثنين في جمادى الأولى= =سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن مع رسول الله ﷺ. ينظر التاريخ الكبير ٢/٥، الطبقات الكبرى ١٧٠/٣، تهذيب التهذيب ٢٧٦/٥، تهذيب الكمال ٢٨٢/١٥ وما بعدها، معرفة الثقات ٤٦/٢، الإصابة ١٧٩/٤.

السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم"(١)

وعن عائشة رضي الله عنها (٢) كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"(٣)

وإنما أمر ﷺ بالاجتهاد في الدعاء وأخبر بأن العبد في سجوده من أقرب ما يكون من ربه لأنها نهاية العبودية والذلة، ولله غاية العزة وله العزة التي لا مقدار لها، فكلما بعدت من صفته قربت من جنته ودنوت من جواره في داره، يقول القرطبي: ولقد أحسن من قال:

وإذا تذللت الرقاب تواضعا منا إليك فعزها في ذلها

والأمر بإكثار الدعاء في السجود يشمل الحث على تكثير الطلب لكل حاجة كما جاء في حديثه ﷺ "ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع

---

(١) صحيح مسلم ٣٤٨/١ ح رقم ٤٧٩.

(٢) زوجة النبي ﷺ المبرأة من فوق سبع سماوات، أم المؤمنين الحميراء، أم عبد الله، السيدة عائشة بنت خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة، القرشية التيمية المكية النبوية، كان مولدها في الإسلام، وهي أفقه نساء الأمة على الإطلاق، تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة الصديقة خديجة وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا وقيل بعامين ودخل بها في شوال سنة اثنين وهى ابنة تسع وهى أصغر من فاطمة بثمان سنين، لم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها، وكانت أحب نسائه إليه، ماتت سنة سبع وخمسين في ولاية معاوية، وكانت حين قبض رسول الله ﷺ إلى جنته بنت ثمان عشرة. ينظر سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢: وما بعدها، الثقات ٣٢٣/٣، تهذيب التهذيب ٤٦١/١٢ وما بعدها بتصرف.

(٣) صحيح البخاري ٢٧٤/١ ح رقم ٧٦١.

نعلـه"(١) وفـي روايـة "ليسـأل أحـدكم ربـه حاجتـه حتـى يسـأله الملـح، وحتـى يسـأله شسـع نعلـه إذا انقطـع"(٢) ويشـمل التكـرار للسـؤال الواحـد والاسـتجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤله واستجابة المثنى بتعظيم ثوابه.

ويؤخذ من حديث أم المؤمنين عائشة إباحة الدعاء في الركوع وإباحة التسبيح في السجود ولا يعارضه الحديث الذي قبله وفيه قوله ﷺ "فأما الركوع فعظمـوا فيـه الـرب وأمـا السجود فاجتهدوا فيـه مـن الـدعـاء" ويمكـن أن يحمـل الحديث على الجواز وذلك علـى الأولويـة. وقولـه ﷺ "فقمـن أن يسـتجاب لكـم" قمن بفتح القاف والميم وقد تكسر، ومعناه حقيق.

هذا، وقد ترجم الإمام البخاري(٣) لحديث عائشة بقوله: باب الدعاء

---

(١)صحيح ابن حبان ١٤٨/٣ح رقم ٨٦٦.

(٢) سنن الترمذي ٥٨٣/٥.

(٣) شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله الجعفي ، صاحب الصحيح والتصانيف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ولد فـي شوال سنـة أربـع وتسـعين ومائـة، وأول سماعه للحديث سنة خمس ومـائتين، نشأ يتيمـا وسمع بالبصرة وبالكوفـة وبعسقلان وبحمص وبدمشق ومدن العراق كلها وغير ذلك، سمع أبا= =عاصم ومكي بن إبراهيم وعبيد الله والفريابي وخلائق، وعنه الترمذي وابن خزيمة وابن صاعد، وصنف وحدث ومـا فـي وجهـه شعرة وكتابـه الجامع الصحيح أصح كتب الأحاديث، توفي ليلـة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ودفن بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند، من تصـانيفه أيضـا: الأسـماء والكنـى، والأدب المفـرد. ينظـر الكاشـف ١٥٦/٢، تـذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢ وما بعدها، سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٢ ومـا بعدها، شذرات الذهب ١٣٤/٢ وما بعدها، معجم المؤلفين ٥٢/٩ ، ٥٣.

في الركوع، فقيل الحكمة في تخصيص الركوع بالدعاء دون التسبيح مع أن الحديث واحد، أنه قصد الإشارة إلى الرد على من كره الدعاء في الركوع كمالك(١) وأما التسبيح فلا خلاف فيه فاهتم هنا بذكر الدعاء لذلك، وحجة المخالف الحديث الذي رواه ابن عباس والذي فيه "فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم" لكنه لا مفهوم له فلا يمتنع الدعاء في الركوع كما لا يمتنع التعظيم في السجود. (٢)

سادسها: أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه، قال الإمام النووي: قال جماعة من أصحابنا وغيرهم: السنة في كل دعاء لرفع بلاء كالقحط ونحوه أن يرفع يديه ويجعل ظهر كفيه إلى السماء، وإذا دعا لسؤال شيء

---

(١) إمام دار الهجرة المدني الفقيه رأس المتقنين وكبير المتثبتين: الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله، كان ثقة مأمونا ثبتا ورعا فقيها عالما حجة ، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر، حدث عن نفسه أن حمله كان ثلاث سنين، وسمع غير واحد يقول حمل بمالك ثلاث سنين، وكان ﷺ طويلا عظيم الهامة أصلع أبيض الرأس واللحية شديد البياض إلى الشقرة ، وعن أبي مصعب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك، ولد سنة ثلاث وتسعين، وتوفي في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة. ينظر التاريخ الكبير ٣١٠/٧ ، صفة الصفوة ١٧٧/٢، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢ /٢٣٤، تهذيب التهذيب٥/١٠، تقريب التهذيب ص ٥١٦.

(٢) تفسير القرطبي ١٢٨/٢٠، شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٨/٤، فتح الباري ٢٨١/٢، ٣٠٠/٢.

وتحصيله جعل بطن كفيه إلى السماء. (١)أما من حيث استقبال القبلة فقد جاء عنه ﷺ أنه "أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس"(٢) وأما عن رفع الأيدي فقد امتلأت به كتب السنة وأفرد الإمام البخاري في صحيحه بابا وسماه: باب رفع الأيدي في الدعاء ثم قال: وقال أبو موسى الأشعري(٣) دعا النبي ﷺ ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه، وقال ابن عمر: رفع النبي ﷺ يديه وقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"(٤) ثم قال

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٠/٦، فتح الباري ٥١٨/٢.
(٢) صحيح مسلم ٨٨٦/٢ ح رقم ١٢١٨ في باب حجة النبي ﷺ عن جابر بن عبد الله.
(٣) هو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري التميمي الفقيه المقرئ، يعرف بكنيته، أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة وأول مشاهده خيبر، قال عنه رسول الله ﷺ: "لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود" ولي الكوفة مرة والبصرة مرة، وله إخوة ثلاثة أسلموا الأربعة في موضع واحد، مات سنة أربع وأربعين وهو ابن نيف وستين سنة وقيل مات سنة خمسين وقيل سنة اثنين وخمسين. ينظر حلية الأولياء ٢٥٦/١، أسماء من يعرف بكنيته ٥٨/١، الثقات ٢٢٢/٣، سير أعلام النبلاء ٣٨٠/٢ وما بعدها.
(٤) قال الحافظ ابن حجر: وخالد المذكور هو ابن الوليد، وقال في موضع آخر للحديث: هذا طرف من حديث طويل أخرجه المؤلف في غزوة الفتح من المغازي، وحاصله أن خالد بن الوليد غزا بأمر النبي ﷺ قوما فقالوا: صبأنا، وأرادوا أسلمنا، فلم يقبل خالد ذلك منهم وقتلهم بناء على ظاهر اللفظ، فبلغ النبي ﷺ ذلك فأنكره، فدل على أنه يكتفى من كل قوم بما يعرف من لغتهم، وقد عذر النبي ﷺ خالد بن الوليد في اجتهاده ولذلك لم يقد منه. ومن هنا قال العلماء: المقاصد تعتبر بأدلتها كيفما ==

الإمام البخاري عن أنس أن النبي ﷺ رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه"(١) وجاء عن أسامة بن زيد(٢) قال: "كنت ردف النبي ﷺ بعرفات فرفع يديه

==كانت الأدلة لفظية أو غير لفظية بأي لغة كانت. فتح الباري لابن حجر ٢٧٤/٦، ١٤٢/١١.

وأما سيدنا خالد فهو بن الوليد بن المغيرة بن القرشيّ المخزوميّ سيف الله ، أبو سليمان أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلاليّة، وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب، وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، كان أحد أشراف قريش في الجاهليّة، وشهد مع كفّار قريش الحروب إلى عمرة الحديبيّة ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل قبلها، وشهد مؤتة والفتح وحنينا، كان إسلامه مع إسلام عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة، ثلاثتهم أسلموا وهاجروا، فاستبشر النبي ﷺ بإسلامهم وهجرتهم، حدث عنه: ابن خالته عبد الله بن عباس، وقيس بن أبي حازم، والمقدام بن معدي كرب، وآخرون. توفي بحمص سنة إحدى وعشرين، ومشهده على باب حمص، عليه جلالة. الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٩/٢، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٩٢٥/٢، سير أعلام النبلاء ٣٦٦/١.

(١) صحيح البخاري ٢٣٣٥/٥.

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة، أبو زيد ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو حارثة رباه النبي ﷺ وهو حب رسول الله ﷺ وابن حبه، كان أبوه زيد ممن أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه الرسول ﷺ بالعتق، وكان شديد السواد، خفيف الروح شاطرا شجاعا، وهو ابن حاضنة النبي ﷺ أم أيمن، استعمله رسول الله ﷺ على جيش لغزو الشام وفي الجيش أبو بكر وعمر والكبار، فم يسر حتى توفي رسول الله ﷺ فبادر الصديق ببعثهم، شهد ﷺ مع أبيه غزوة مؤتة وقدم دمشق ثم انتقل إلى المدينة فمات ==

يدعو فمالت به ناقته فسقط خطامها فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى"(١) وخرج النبي ﷺ إلى المصلى يوما يستسقي، فدعا، واستسقى، ثم استقبل القبلة، وقلب رداءه".(٢) وقال عمر بن الخطاب ﷺ (٣) وهو يحدث عن غزوة تبوك: وأصابهم في غزوة تبوك عطش شديد حتى جعلوا ينحرون الإبل ويشربون ما في كروشها من الماء ويعصرون الفرث

==بها سنة ثلاث وخمسين ومائة. وهو ابن بضع وسبعين سنة، ويقال بوادي القرى روى عن النبيﷺ ، وروى عنه أبو هريرة وابن عباس وابناه الحسن ومحمد ابنا أسامة وآخرون. سير أعلام النبلاء ٤٩٦/٢، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٦/٨، الطبقات الكبرى ٤٤٩/٥، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٢٢٤/١.

(١) سنن النسائي الكبرى ٤٢٣/٢ ح رقم ٤٠٠٧.

(٢) صحيح البخاري ٢٣٣٥/٥ ح رقم ٥٩٨٣.

(٣) سيدنا عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في كعب، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان إليه السفارة في الجاهلية، وكان إسلامه فتحا على المسلمين، شهد بدرا والمشاهد كلها، وهو أحد فقهاء الصحابة، أجمعوا على كثرة علمه ووفور عقله وفهمه وزهده وتواضعه وإنصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، ومحاسنه ومناقبه أكثر من أن تحصى، وهو أول من لقب بأمير المؤمنين، وأول من وضع التاريخ الهجري وأول من دون الدواوين، استشهد في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين والأرجح أنه عاش ثلاثا وستين سنة ﷺ. ينظر التاريخ الكبير ١٣٨/٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦٥/٣ وما بعدها، تهذيب التهذيب ٣٨٦/٧، الإصابة ٥٨٨/٤، تذكرة الحفاظ ٥/١ وما بعدها، الطبقات الكبرى للشعراني ١٨/١.

حتى استسقى لهم رسول الله ﷺ فرفع يديه يدعو فما رجعهما حتى انسكبت سحابة فشربوا وادخروا ثم ارتحلوا، فإذا السحابة لم تخرج عن العسكر، وحينئذ قال رجل من المنافقين: وهل هذه إلا سحابة مرت. وكانت الغزوة في شدة الحر، وكان الناس كثيرا ...الخ(١)

وعن سلمان الفارسي ؓ (٢) عن النبي ﷺ قال" إن الله حيي كريم

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٩٣/٣، البداية والنهاية ٩/٥.

(٢) أبو عبد الله سلمان الفارسي وهو سلمان الخير كان يقول عن نفسه: أنا ابن الإسلام من بني آدم أصله من جي موضع بأصبهان ، وقيل: من رامهرمز، أسلم في السنة الأولى من الهجرة ولم يزل بالمدينة حتى غزا المسلمون العراق فخرج معهم وحضر فتح المدائن ونزلها وسكن الكوفة وتنقلت به الأحوال في مبدأ أمره إلى أن صار لرجل من يهود المدينة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أسلم سلمان وأمره رسول الله ﷺ فكاتب سيده اليهودي وأعانه رسول الله ﷺ على أداء ما عليه فنسب إليه وقال ﷺ: "سلمان منا أهل البيت" أول مشاهده الخندق، مات ؓ في خلافة على بالمدائن سنة ست وثلاثين بعد الجمل أو في أول سنة ست وثلاثين وقيل سنة أربع وقيل سنة خمس وثلاثين في آخر أيام عثمان وقيل إنه توفي في أيام عمر بن الخطاب والأول أكثر. قال ابن كثير: وكان أهل العلم لا يشكون أنه عاش مائتين وخمسين سنة واختلفوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثمائة وخمسين وقد ادعى بعض الحفاظ المتأخرين أنه لم يجاوز المائة فالله أعلم بالصواب. ينظر تقريب التهذيب ص ٢٤٦، الكاشف ٤٥١/١، تاريخ بغداد ١٦٣/١، الاستيعاب ٦٣٤/٢. البداية والنهاية ٣١٦/٥، الثقات ١٥٧/٣، المنتظم٢٠/٥.

يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين"(١) وقوله ﷺ: "صفرا" بكسر المهملة وسكون الفاء أي: خالية.(٢)

وفي حديث قيس بن سعد بن عبادة(٣): زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال: "السلام عليكم ورحمة الله، فرد سعد ردا خفيا، قال قيس: فقلت: ألا تأذن لرسول الله ﷺ فقال: ذره يكثر علينا من السلام، فقال رسول الله ﷺ: السلام عليكم ورحمة الله، فرد سعد ردا خفيا، ثم قال رسول الله ﷺ: السلام عليكم ورحمة الله، ثم رجع رسول الله ﷺ واتبعه سعد فقال: يا رسول الله إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك ردا خفيا لتكثر علينا من السلام، قال:

---

(١) الدر المنثور ٤٧١/١، صحيح ابن حبان ١٦٠/٣ ح رم ٨٧٦، سنن أبي داود ٧٨/٢ ح رقم ١٤٨٨، سنن الترمذي ٥٥٦/٥ح رقم ٣٥٥٦ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

(٢) فتح الباري ١٤٣/١١.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري خادم رسول الله ﷺ، الأمير المجاهد سيد الخزرج وابن سيدهم أبو ثابت، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، مختلف في كنيته، فقيل: أبو الفضل، وأبو عبد الله، وأبو عبد الملك، وأمّه بنت عمّ أبيه واسمها فكيهة بنت عبيد بن دليم، كان قيس ضخما حسنا طويلا إذا ركب الحمار خطّت رجلاه الأرض، وكان سخيّا كريما داهية، وكان قيس حامل راية الأنصار مع رسول الله ﷺ، شهد فتح مصر، واختطّ بها دارا، ثم كان أميرها لعليّ. وكان قيس بن سعد بن عبادة يقول: اللَّهمّ ارزقني مالا، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد، وأخذ النبيّ ﷺ يوم الفتح الراية من أبيه، فدفعها له. سير أعلام النبلاء ١٠٢/٣، الطبقات الكبرى ٣١/٦، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٦٠/٥.

فانصرف معه رسول الله فأمر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها ثم رفع رسول الله يديه وهو يقول: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ثم أصاب من الطعام"(١)

وقال أبو موسى الأشعري ﷺ في حديث طويل: "فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: اللهم اغفر لعبيد أبي عامر ورأيت بياض إبطيه ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس، فقلت: ولي فاستغفر، فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما" قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى.(٢)(٣)

والأحاديث في ذلك الباب كثيرة من حيث استقبال القبلة ورفع الأيدي، وإنما ذكرت أكثر من حديث في رفع الأيدي وذلك لوقوع الخلاف في رفع الأيدي وذلك من حديث أنس رضي ﷺ حيث يقول: "كان ﷺ لا يرفع يديه في

---

(١) سنن أبي داود ٣٤٧/٤ ح رقم ٥١٨٥، سنن النسائي الكبرى ٨٩/٦ ح رقم ١٠١٥٧، فتح الباري ١٤٢/١١ وقال الحافظ ابن حجر: وسنده جيد.

(٢) صحيح البخاري ١٥٧١/٤ح رقم ٤٠٦٨، صحيح مسلم ١٩٤٣/٤ح رقم ٢٤٩٨، فتح الباري ١٤١/١١.

(٣) فتح الباري ٥١٨/٢، فتح الباري ٥٧٧/٦.

شيء من دعائه إلا في الاستسقاء(١) فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه"(٢)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: هذا الحديث يوهم ظاهره أنه ﷺ لم يرفع يديه إلا في الاستسقاء وليس الأمر كذلك، بل قد ثبت رفع يديه ﷺ في الدعاء في مواطن غير الاستسقاء وهي أكثر من أن تحصر وقد جمعت منها نحوا من ثلاثين حديثا من الصحيحين أو أحدهما وذكرتها في أواخر باب صفة الصلاة من شرح المهذب، ويتأول هذا الحديث على أنه لم يرفع الرفع البليغ بحيث يرى بياض إبطيه إلا في الاستسقاء، أو أن المراد: لم أره رفع، وقد رآه غيره رفع، فيقدم المثبتون في مواضع كثيرة وهم جماعات على واحد لم يحضر ذلك، ولا بد من تأويله لما ذكرناه والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر: ظاهره نفى الرفع في كل دعاء غير الاستسقاء وهو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع في غير الاستسقاء وقد تقدم أنها كثيرة وقد أفردها المصنف بترجمة في كتاب الدعوات وساق فيها عدة أحاديث فذهب بعضهم إلى أن العمل بها أولى وحمل حديث أنس على نفى رؤيته وذلك لا يستلزم نفى رؤية غيره، وذهب آخرون إلى تأويل حديث أنس المذكور لأجل الجمع بأن يحمل النفي على صفة مخصوصة: إما الرفع

---

(١) الاستسقاء لغة: طلب سقى الماء من الغير للنفس أو الغير، وشرعا: طلبه من الله عند حصول الجدب على وجه مخصوص. فتح الباري ٤٩٢/٢.

(٢) صحيح البخاري ١٣٠٧/٣ ح رقم ٣٣٧٢، صحيح مسلم ٦١٢/٢ ح رقم ٨٩٥.

البليغ إلى أن تصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعاء إلى حذو المنكبين ويدل عليه قوله: "حتى يرى بياض إبطيه" ويؤيده أن غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد به مد اليدين وبسطهما عند الدعاء، وكأنه عند الاستسقاء مع ذلك زاد فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه وبه حينئذ يرى بياض إبطيه، فالمنفى صفة خاصة لا أصل الرفع ولا يعكر على ذلك أنه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض إبطيه بل يجمع بأن تكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منها في غيره.

وأما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء، وبتقدير تعذر الجمع فجانب الإثبات أرجح، ولا سيما مع كثرة الأحاديث الواردة في ذلك.(١) واختلف في المراد بوصف إبطيه بالبياض، فقيل: لم يكن تحتهما شعر فكانا كلون جسده، ثم قيل: لم يكن تحت إبطيه شعر البتة، وقيل: كان لدوام تعهده له لا يبقى فيه شعر. (٢)

وقال أبو الدرداء ﷺ(٣): ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٠/٦، فتح الباري ٤١٣/٢، ٥١٧/٢، ١٤٢/١١.

(٢) فتح الباري ٥٧٧/٦.

(٣) أبو الدرداء عويمر بن عامر بن زيد الانصاري، اختلف في اسم أبي الدرداء، فقيل: عويمر، وعمير، وعمرو، وعامر، وقيل: عويمر لقبه، وهو تصغير عامر، لقب به نفسه، وكان فقيها عابدا عالما قارئا، أحد الأربعة الذين أوصى معاذ بن جبل أصحابه أن يأخذوا العلم عنهم، أسلم يوم بدر وقد ألحقه عمر ﷺ بالبدريين في العطاء، وشهد أحدا وآخى رسول الله ﷺ بينه وبن سلمان الفارسي توفي قبل عثمان ==

بالأغلال.(١)

وللإمام القرطبي عبارة جميلة يحثنا فيها على الدعاء فيقول: والدعاء حسن كيفما تيسر وهو المطلوب من الإنسان لإظهار موضع الفقر والحاجة إلى الله عز وجل والتذلل له والخضوع، فإن شاء استقبل القبلة ورفع يديه فحسن وإن شاء فلا، فقد فعل ذلك النبي ﷺ حسبما ورد في الأحاديث.(٢)

وهذا لا ينافي ما ورد من الأحاديث بل إن العلماء والقرطبي نفسه رأى فضل من رفع على من لم يرفع، ويكفي فضيلة من يرفع أنه ممتثل لفعل رسول الله ﷺ ونحن مأمورون بذلك.

سابعها: خفض الصوت بين المخافتة والجهر، والمخافتة بمعنى الإسرار وخفض الصوت والسكون، ومن الأدب في الدعاء أن يكون الداعي على أمر وسط بين الجهر والإسرار، يقول الله تعالى "وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا "(٣) هذه الآية اختلف العلماء في سبب نزولها على أقوال، ومن هذه الأقوال: قول عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة

==رضي الله عنهم سنة ثلاث وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين بدمشق. مشاهير علماء الأمصار ص: ٨٤، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٤/٢١٠، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/٢٤٤.

(١) تفسير السمعاني ٦/١١٤، تفسير القرطبي ١٩/١٢٤، إحياء علوم الدين ١/٣٠٥.

(٢) تفسير القرطبي ٧/٢٢٥.

(٣) جزء من الآية رقم ١١٠ من سورة الإسراء.

ومجاهـد رضـي الله عنهمـا، بـأن المقصـود مـن الصـلاة هنـا الـدعاء والمسألة(١)، وقيل المعنى: لا ترفع صوتك فتذكر ذنوبك فيسمع ذلك فتعير بها، وعلى الأول فالجهر بالدعاء منهى عنه والمبالغة في الإسرار غير جائزة والمستحب من ذلك التوسط ولذلك قال ربنا "وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا " أي اسلك بـين الجهـر والمخافتـة طريقـا وهـو أن يسـمع نفسـه، كمـا روي عـن ابـن مسعود(٢) أنه قال: لم يخافت من أسمع أذنيه.(٣)

وقال تعالى: " ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ "(٤)

فالتضرع هو التذلل والتخشع، وهو إظهار ذل النفس من قولك: ضرع

---

(١) صحيح البخاري ٥/٢٣٣١ ح رقم ٥٩٦٨، ٦/٢٧٣٧ح رقم ٧٠٨٨، صحيح مسلم ١/٣٢٩ ح رقم٤٤٧، تفسير الطبري ١٧/٥٨١.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمن الهذلي، من السابقين الأولين حيث أسلم بمكة قديما، وهاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه، وحدث عن النبي ﷺ الكثير، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة، وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ، مات بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين وقيل ثلاثة، والأول أثبت، ودفن بالبقيع. ينظر الإصابة ٤/٢٣٣، وما بعدها بتصرف كبير، تهذيب التهذيب ٦/٢٤ وما بعدها، سير أعلام النبلاء ١/٤٦١ وما بعدها، شذرات الذهب ١/٣٨ ، ٣٩.

(٣) التفسـير الكبيـر ٢١/٥٩، تفسـير القرطبـي ١٠/٣٤٣ ومـا بعـدها، روح المعـاني ١٥/١٩٤، زاد المسير ٥/١٠١.

(٤) الآية رقم ٥٥ من سورة الأعراف.

فلان لفلان وتضرع له إذا أظهر الذل له في معرض السؤال، والخفية: ضد العلانية يقال: أخفيت الشيء إذا سترته، يقول الفخر الرازي: واعلم أن الإخفاء معتبر في الدعاء، ويدل عليه وجوه:-

الأول: هذه الآية، فإنها تدل على أنه تعالى أمر بالدعاء مقرونا بالإخفاء، وظاهر الأمر للوجوب فإن لم يحصل الوجوب فلا أقل من كونه ندبا، ثم قال تعالى بعده: "وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" والأظهر أن المراد أنه لا يحب المعتدين في ترك هذين الأمرين المذكورين: وهما التضرع والإخفاء فإن الله لا يحبه، ومحبة الله تعالى عبارة عن الثواب، فكأن المعنى أن من ترك في الدعاء التضرع والإخفاء فإن الله لا يثيبه البتة ولا يحسن إليه، ومن كان كذلك كان من أهل العقاب لا محالة، فظهر أن قوله تعالى "إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" كالتهديد الشديد على ترك التضرع والإخفاء في الدعاء.

الحجة الثانية أنه تعالى أثنى على زكريا فقال: "إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً"(١) أي أخفاه عن العباد وأخلصه لله وانقطه به إليه.

الحجة الثالثة: عن الحسن(٢)أنه قال: دعوة في السر تعدل سبعين

---

(١) جزء من الآية رقم ٣ من سورة مريم.

(٢) سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيد ولد آدم ﷺ، ولد رحمه الله للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية، وقيل ==

دعوة في العلانية(١) وعن سعد بن أبي وقاص(٢) قال: سمعت النبي يقول: خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي"(٣) وعن الحسن أنه كان يقول: إن الرجل كان يجمع القرآن وما يشعر به جاره، يفقه الكثير وما يشعر به الناس، ويصلي الصلاة الطويلة في ليله وعنده الزائرون وما يشعرون به، ولقد أدركنا

==لأربع سنين وتسعة أشهر ونصف، روى عن جده رسول الله ﷺ وأبيه وأخيه حسين، مات بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وقيل إحدى وخمسين بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين ودفن في بقيع الغرقد، والأكثر أنه مات سنة خمسين بالمدينة عن سبع وأربعين سنة. ينظر التاريخ الكبير ٢٨٦/٢، مشاهير علماء الأمصار ص ٧، تهذيب الكمال ٢٢١/٦ وما بعدها، تهذيب التهذيب ٢٥٧/٢ وما بعدها، شذرات الذهب ٥٥/١ ، ٥٦.

(١) مسند أحمد بن حنبل ١٧٢/١ح رقم ١٤٧٧، صحيح ابن حبان ٩١/٣ ح رقم ٨٠٩.

(٢) سعد بن مالك بن أهيب القرشي الزهري أبو إسحاق بن أبي وقاص، آخر العشرة المبشرين بالجنة موتا، قال: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثالث الإسلام، وهو أحد الستة أهل الشورى، روى عن رسول الله ﷺ الكثير، وروى عنه الكثير من أصحابه وبنيه وكبار التابعين، وكان أحد الفرسان وأول من رمى بسهم في الإسلام في سبيل الله، شهد بدرا مع رسول الله ﷺ، وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك، وذلك بدعاء النبي ﷺ له حيث قال: "اللهم استجب لسعد إذا دعاك"، اختلف في وفاته فقيل: مات سنة إحدى وخمسين وقيل أربع وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان والرابع أشهر. التاريخ الكبير ٤٣/٤، الإصابة ٧٣/٣ وما بعدها، حلية الأولياء ٩٢/١، سير أعلام النبلاء ٩٢/١، شذرات الذهب ٦١/١.

(٣) الجامع لمعمر ٤٤٢/١٠ح رقم ١٩٦٤٥، مصنف عبد الرزاق ٤٤٢/١٠. صحيح ابن حبان ٩١/٣ ح رقم ٨٠٩

أقواما كانوا يبالغون في إخفاء الأعمال، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع صوتهم إلا همسا لأن الله تعالى قال: "ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً".

وقال ابن جريج(١): يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة.

الحجة الرابعة من المعقول: وهو أن النفس شديدة الميل عظيمة الرغبة في الرياء والسمعة فإذا رفع صوته في الدعاء امتزج الرياء بذلك الدعاء فلا يبقى فيه فائدة ألبتة، فكان الأولى إخفاء الدعاء ليبقى مصونا عن الرياء (٢)

وروي عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأشرف بالناس على واد فجهروا بالتكبير والتهليل الله أكبر لا إله الا الله ورفع عاصم صوته، فقال النبي: ﷺ"يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم إن

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو خالد، ويقال أبو الوليد شيخ الحرم القرشي الأموي المكي، من فقهاء مكة وقرائهم، وممن جمع وصنف، وكان أول من دون العلم بمكة، حدث عن عطاء بن أبى رباح فأكثر، وطاوس وغيرهم، وحدث عنه الأوزاعي وعبد الرزاق، مات سنة خمسين ومائة وقيل: سبع وأربعين، وقيل: إحدى وخمسين، وعاش سبعين سنة. التاريخ الكبير ٤٢٢/٥، مشاهير علماء الأمصار، ص١٤٥، سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٦ وما بعدها.

(٢) التفسير الكبير ١٠٧/١٤، روح المعاني ١٣٩/٨، تفسير القرطبي ٢٢٤/٧، تفسير ابن كثير ٢٢٢/٢، سلاح المؤمن في الدعاء ١٣٥/١، إحياء علوم الدين ٣٠٦/١.

الذي تدعون ليس بأصم إنه سميع قريب إنه معكم، أعادها ثلاث مرات، قال أبو موسى: فسمعني أقول وأنا خلفه: لا حول ولا قوة الا بالله، فقال: يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة، قلت: بلى فداك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله"(١)

ثامنها: أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع، والتكلف لا يناسبه. والسجع بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها عين مهملة هو: موالاة الكلام على روى واحد، ومنه سجعت الحمامة إذا رددت صوتها، وقيل: هو الكلام المقفى من غير مراعاة وزن،(٢)

وعن ابن عباس قال: حدث الناس كل جمعة مرة فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرار ولا تمل الناس هذا القرآن ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.(٣)

ومعنى قوله: وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه. أي: لا تقصد إليه ولا تشغل فكرك به لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء.

---

(١) سنن النسائي الكبرى ٢٥٥/٥ ح رقم ٨٨٢٣ واللفظ له، صحيح ابن خزيمة ١٤٩/٤ ح رقم ٢٥٦٣.

(٢) فتح الباري ١٣٩/١١، إحياء علوم الدين ٣٠٦/١.

(٣) صحيح البخاري ٢٣٣٤/٥ ح رقم ٥٩٧٨

وقيل المراد بالنهي: المستكره منه، وقيل: الاستكثار منه.

وقوله: لا يفعلون إلا ذلك، أي ترك السجع، ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام.

قال الغزالي(١): المكروه من السجع هو المتكلف لأنه لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلفة، وإنما كرهه ﷺ لمشاكلته كلام الكهنة(٢)

وقيل معنى الاعتداء في قوله تعالى: "ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"(٣) أي: التكلف للأسجاع، والأولى أن لا يجاوز الدعوات

---

(١) الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام زين الدين محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي، أبو حامد، صاحب التصانيف والذكاء المفرط مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) تفقه ببلده أولا ثم تحول إلى نيسابور فلازم إمام الحرمين ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. ألف في الأصول والفقه والكلام والحكمة والتصوف وغير ذلك الكثير من تصانيفه إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة والاقتصاد في الاعتقاد ومعارج القدس في أحوال النفس، وغير ذلك الكثير. ينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٩١/٦، سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩، تاريخ الإسلام ٦٢/١١، طبقات الشافعيين ص: ٥٣٣، الأعلام للزركلي ٢٢/٧.

(٢) فتح الباري ١٣٩/١١، إحياء علوم الدين ٣٠٦/١.

(٣) الآية رقم ٥٥ من سورة الأعراف.

المأثورة فإنه قد يعتدى في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء.

ولذلك روي عن معاذ ﷺ(١): إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء

ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له: أعلى الله تبالغ، أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي(٢) يدعو وما يزيد على قوله: اللهم اجعلنا جيدين، اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير، والناس يدعون من كل ناحية وراءه، وكان يعرف بركة دعائه.

وقيل: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

---

(١) هو معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن مسعود، وكان ممن جمع القرآن علي عهد رسول الله ﷺ، وشهد بدرا وهو ابن عشرين سنة، وشهد العقبتين والمشاهد كلها، بعثه رسول الله ﷺ قاضيا إلي الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، توفي ﷺ بناحية الأردن بالشام في سنة ثمان عشرة في خلافه عمر. التاريخ الكبير ٣٥٩/٧ ، رجال سلم ٢٣٢/٢، الإصابة ١٣٦/٦ وما بعدها، الاستيعاب ١٤٠٢/٣ وما بعدها، الثقات ٣٦٨/٣، شذرات الذهب ٣٠/١.

(٢) حبيب العجمي، زاهد البصرة في زمانه، هو ابن محمد، ويكنى أبا محمد، روى عن الحسن، وابن سيرين، وبكر بن عبد الله، وأبي تميمة طريف الهجيمي، وعنه جعفر بن سليمان، وأبو عوانة، وحماد بن سلمة، وصالح المرى، وجماعة، غالب ما عنده الحكايات، قال الذهبي: روى له البخاري في كتاب الأدب، وما علمت له جرحا. ميزان الاعتدال ٤٥٧/١، لسان الميزان ٢٧٨/٩.

ويقال: إن العلماء الأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عبادة أكثر من ذلك.

فليقتصر العبد المسلم على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل(١)

تاسعها: وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة فيروى عن كعب الأحبار(٢) أنه قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله ﷺ فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٢/٢، إحياء علوم الدين ٣٠٦/١.

(٢) هو كعب بن ماتع الحمير أبو إسحاق الحبر ويقال الأحبار، وهو من مسلمة أهل الكتاب الثقات المخضرمين، أدرك ﷺ وقيل أدرك الجاهلية، وأسلم في خلافه أبي بكر، وقيل عمر، والراجح الثاني، فهو تابعي ليس إلا، روى عنه الناس كثيرا، سكن الشام ومات بحمص سنة أربع وثلاثين وقيل سنة اثنين، وقد بلغ مائة سنة وأربع سنين، وليس له في البخاري رواية إلا حكاية لمعاوية فيه، وله في مسلم رواية لأبي هريرة. ينظر التاريخ الكبير ٢٢٣/٧، الجرح والتعديل ١٦١/٧، الثقات ٣٣٣/٥، تهذيب الكمال ١٩٣/٢٤،١٨٩بتصرف، جامع التحصيل في أحكام المراسيل ٢٦٠/١، تقريب التهذيب ص٤٦١، تهذيب الأسماء٣٧٧/٢، الإصابة٦٤٧/٥وما بعدها.

السلام: "إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام" فقال موسى: "يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا" فأوحى الله عز وجل إليه: "يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما" فقال موسى لبني إسرائيل: "توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة" فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث.

وقال سعيد بن جبير(١): قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبني إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه، قيل له: وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء؟ فقال: أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله تعالى عليهم السماء.

وقال سفيان الثوري(٢) : بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي أبو محمد ويقال: أبو عبد الله ، روى عن ابن عباس وعائشة وأبي موسى الأشعري وأبى هريرة، وروى عن بعض التابعين، وعنه ابناه عبد الملك وعبد الله ويعلى بن مسلم وسماك بن حرب والأعمش وخلق ، وكان يحرم في كل سنة مرتين مرة للحج ومرة للعمرة، قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين سنة، عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. والله أعلم. ينظر التاريخ الكبير ٤٦٢/٣، الثقات ٢٧٥/٤، ٢٧٦، تهذيب التهذيب ١١/٤، تهذيب الكمال ٣٥٨/١٠، سير أعلام النبلاء ٣٢١/٤ وما بعدها ، البداية والنهاية ٩٨/٩.

(٢) أبو عبد الله الكوفي شيخ الإسلام وإمام الحفاظ: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث، ولد ونشأ في الكوفة سنة سبع وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك، ==

الميتة من المزابل وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام: "لو مشيتم إلي بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فإني لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها" ففعلوا فمطروا من يومهم .

وخرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا، فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.

وأصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا، وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فأعتقنا، وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا

==وكان ثقة مأمونا ثبتا كثير الحديث حجة، توفي بالبصرة في شعبان سنة إحدى وستين ومائة في خلافة المهدي، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، وكان آية في الحفظ، من كلامه: ما حفظت شيئا فنسيته، ولابن الجوزي كتاب في مناقبه، وعداده في صغار التابعين، روى له الجماعة الستة في دووابنهم، وحدث عنه أولاده وشعبة بن الحجاج وزائدة وأبو الأحوص وأبو عوانة وآخرون. سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧، جامع التحصيل ص: ١٠٦، الأعلام للزركلي ١٠٤/٣.

مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا، فسقوا.

وقال عطاء السلمي: منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إلي فقال: يا عطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور، فقلت: لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي، فقال: يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية؟ فقلت: بل بقلوب سماوية، فقال: هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه، وقال: إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير، قال عطاء: فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب، فولى وهو يقول:

أفلح الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا. (١)

عاشرها: الإخلاص وهو من أعظم وأهم آداب الدعاء وشروطه، ونجد ذلك في قوله تعالى: "فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ".(٢)(٣) .

---

(١) إحياء علوم الدين ٣٠٨/١ وما بعدها..
(٢) الآية رقم ١٤ من سورة غافر.
(٣) إعانة الطالبين ٩/١.

ومن جملة الآداب: حضور القلب، فإن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه، ومنها التضرع والخشوع والرغبة والرهبة، ومنها أن يلح في الدعاء وأن يكرره ثلاثا، ومنها أن يكون عالما بأن لا قادر إلا الله وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة، ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعا، ومنها تقديم الوضوء والصلاة واستقبال القبلة ورفع اليدين وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب والسؤال بالأسماء الحسنى، ومنها حفظ القلب عند الوحدة وحفظ اللسان مع الخلق وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل، ومنها ما قاله الإمام إبراهيم بن أدهم عندما قيل له: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا به وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الأموات فلم تعتبروا وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس، ومنها: مسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء، وأن لا يتحجر، أي يضيق ما وسعه الله فيخص نفسه بالدعاء دون غيره بل يدعو لنفسه ويعمم، ويستحب الدعاء بظهر الغيب للأهل والأصحاب وغيرهم، وطلب الدعاء من أهل الخير والصلاح، ويكره أن يدعو لنفسه وولده وخادمه وماله ونحوها فقط، ويسن الإكثار من الاستغفار، ومنها تقديم عمل صالح أمام الدعاء، ومنها اختيار الأدعية المأثورة، والمحافظة على الدعاء في الرخاء دون تخصيص حال شدة وبلاء، وأن يحمد الله إذا عرف الإجابة، وقيل من آدابه: تقديم الثناء على الله

والتوسل بنبي الله وبالصالحين من عباد الله وبالأعمال الصالحة ليستجاب الدعاء.

وكنت قد ذكرت أن من آداب الدعاء تحري الأوقات الفاضلة والأزمنة الشريفة وأقول هنا جملة أخرى ذكرها المناوي(١) فقال: يستجاب الدعاء ما بين النداء بالصلاة والإقامة وفي ليلتي العيد وليلة القدر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وعند نزول المطر والتقاء الصفين في الجهاد وفي جوف الليل الآخر وعند فطر الصائم ورؤية الكعبة وأوقات الاضطرار وحال السفر والمرض وعند المحتضر وصياح الديك وختم القرآن وفي مجالس الذكر ومجامع المسلمين وفي السجود ودبر المكتوبة وعند الزوال إلى مقدار أربع ركعات وبين صلاة الظهر والعصر من يوم الأربعاء وعند القشعريرة وفي الطواف وعند الملتزم وتحت الميزاب وفي الكعبة وعند زمزم وعلى الصفا والمروة وفي عرفة والمسعى وخلف المقام والمزدلفة ومنى والجمرات

---

(١) محمد عبد الرءوف زين الدين بن تاج العارفين بن على بن زيد العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، انزوى للبحث والتصنيف، شافعي المذهب، من كبار العلماء بالدين والفنون، كان ولده يستملي منه تآليفه وإنما ذلك لمرض والده حيث كان قليل الطعام كثير السهر، له نحو ثمانين مصنفا منها الكبير والصغير والتام والناقص، منها فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح التحرير في فروع الفقه الشافعي عاش في القاهرة، مولده في سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وتوفي بالقاهرة في صفر سنة إحدى وثلاثين وألف وقيل تسع وعشرين. ينظر البدر الطالع ٣٥٧/١، معجم المؤلفين ٢٢٠/٥، الأعلام للزركلي ٧٥/٧ ، ٧٦.

وغير ذلك.

وأقول: تخلف الإجابة إنما هو لفقد شرط من شروط الدعاء، أو أدب من آدابه التي مر جزء منها في هذا البحث. وأدلة جملة الآداب التي أوجزتها ذكرت في الكتب التي في هذا الهامش.(١)

---

(١) إعانة الطالبين ٩/١، إحياء علوم الدين ٣٠٦/١، تفسير القرطبي ٣١٢/٢، جامع العلوم والحكم ص١٥٠، تفسير البحر المحيط ٥٣/٢، شرح الزرقاني ٤٤/٢، فيض القدير ٥٤١/٣، تحفة الأحوذي ٣١٦/٩، مرقاة المفاتيح ١٢٥/٥، الدعوات الكبير ٣٤/٢، مرقاة المفاتيح ١٢٦/٥، مرقاة المفاتيح ٨٨/٩، شرح منتهى الإرادات ٢٠٦/١، المجموع ٥٢٦/٤، فتاوى السبكي ١٠٩/١، الفتاوى الفقهية الكبرى ١٤٩/١، حجة الله البالغة ٤٢٥/١، المنهاج في شعب الإيمان ٥٢٣/١ وما بعدها، سلاح المؤمن في الدعاء ٩٧/١ وما بعدها، المستطرف في كل فن مستظرف ٥٣٠/٢، وينظر شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للنبهاني، وكتاب سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية.

الفصل الثاني
بعض دلالات الدعاء العقدية.
المبحث الأول
دلالة الدعاء على العبودية

هذا الشأن من أعظم دلائل الدعاء على العقيدة الإسلامية، لأن دين الله درجات ومنازل، والوصول إلى أفضل وأعلى هذه الدرجات والمنازل لا سبيل إليه إلا بامتثال أوامر مرضات الله وذلك لا يكون إلا باتباع شرعه جل في علاه، فنحن في الأصل خلقنا لعبادة الله عز وجل، فكيف بمقام جعله الله من أشرف مقامات العبودية، ألا وهو الدعاء.

يقول الرازي: قال الجمهور الأعظم من العقلاء: إن الدعاء أهم مقامات العبودية ، ويدل عليه وجوه من النقل والعقل ، أما الدلائل النقلية فكثيرة: الأول:- أن الله تعالى ذكر السؤال والجواب في كتابه في عدة مواضع منها أصولية ومنها فروعية، أما الأصولية فقوله تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي"[١] وقال تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا"[٢] وأما الفروعية فمنها في البقرة "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ...."[٣] والآيات في ذلك كثيرة ذكرها الإمام الرازي في

---

(١) سورة الإسراء من الآية رقم ٨٥.

(٢) سورة النازعات الآية رقم ٤٢.

(٣) سورة البقرة من الآية رقم ٢١٥.

تفسيره، ثم يقول بعد ذلك:

إذا عرفت هذا فنقول: هذه الأسئلة جاءت أجوبتها على ثلاثة أنواع ، فالأغلب فيها أنه تعالى لما حكى السؤال قال لمحمد ﷺ قل ، وفي صورة واحدة جاء الجواب بقوله فقل مع فاء التعقيب ، والسبب فيه أن قوله تعالى "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا"[(١)] سؤال عن قدمها وحدوثها وهذه مسألة أصولية فلا جرم قال الله تعالى "فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبّى نَسْفاً" كأنه قال: يا محمد أجب عن هذا السؤال في الحال ولا تؤخر الجواب فإن الشك فيه كفر ، ثم تقدير الجواب أن النسف ممكن في كل جزء من أجزاء الجبل فيكون ممكنا في الكل وجواز عدمه يدل على امتناع قدمه ، أما سائر المسائل فهي فروعية فلا جرم لم يذكر فيها فاء التعقيب ، أما الصورة الثالثة وهي في قوله تعالى:"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"[(٢)] ولم يقل فقل إني قريب ، فدل على تعظيم حال الدعاء.

وذلك من وجوه: الأول:- كأنه سبحانه وتعالى يقول: عبدي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك. الثاني: أن قوله: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي" يدل على أن العبد له وقوله: "فَإِنّي قَرِيبٌ" يدل على أن الرب للعبد.

وثالثها: لم يقل فالعبد مني قريب ، بل قال: أنا منه قريب ، وفيه سر

---

(١) سورة طه الآية رقم ١٠٥.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٨٦.

نفيس ، فإن العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو ، هو في مركز العدم وحضيض الفناء فلا يمكنه القرب من الرب ، أما الحق سبحانه فهو القادر من أن يقرب بفضله وبرحمته من العبد ، والقرب من الحق إلى العبد لا من العبد إلى الحق فلهذا قال: "فَإِنّي قَرِيبٌ".

والرابع: أن الداعي ما دام يبقى خاطره مشغولاً بغير الله فإنه لا يكون داعياً له فإذا فني عن الكل صار مستغرقاً في معرفة الأحد الحق فامتنع من أن يبقى في هذا المقام ملاحظاً لحقه وطالباً لنصيبه فلما ارتفعت الوسائط بالكلية فلا جرم حصل القرب فإنه ما دام يبقى العبد ملتفتاً إلى غرض نفسه لم يكن قريباً من الله تعالى لأن ذلك الغرض يحجبه عن الله فثبت أن الدعاء يفيد القرب من الله فكان الدعاء أفضل العبادات[1] فما أجمل تدبر كلام ربنا والتفكر فيه. فانظر كيف وصل هذا المقام الذي هو الدعاء إلى هذه الدرجة وهذه العظمة.

بل إن بعض المفسرين كالطبري والسمرقندي وغيرهم فسر أيضا معنى الدعاء في قوله تعالى "قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ"[2] على أنه العبادة أيضا ، فعن مجاهد(٣) في هذه الآية أنه قال: لولا عبادة من يعبده منكم

---

(١) التفسير الكبير ٥/٨٤.

(٢) سورة الفرقان الآية رقم ٧٧.

(٣) أحد أئمة التابعين والمفسرين الثقات، أبو الحجاج المكي: مجاهد بن جبير ، أخذ القرآن عن ابن عباس ، سكن الكوفة، حدث عنه عكرمة وطاووس وعطاء، وهم=

وطاعة من يطيعه منكم. يعني ما يفعل الله بعذابكم لولا عبادتكم غير الله تعالى، ويقال: ما ينتظر بهلاككم لولا عبادة من يعبدوني لأنزلت عذابي. أو ما يفعل ويصنع وأي وزن لكم عنده لولا عبادتكم إياه.(١)

وقد جاء الدعاء في ءايات أخرى في القرآن الكريم بمعنى العبادة أيضا وذلك كقوله تعالى "قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّـهِ"(٢) يقول بعض المفسرين: اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام وهي مؤكدة لقوله تعالى قبل ذلك "قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ"(٣) فقال "قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ" أي أنعبد من دون الله النافع الضار ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضرنا ونرد على أعقابنا راجعين إلى الشرك بعد أن أنقدنا الله منه وهدانا للإسلام(٤)

=من أقرانه، مات سنة مائة، قيل رأى عمر بن عبد العزيز يموت، وقيل مات سنة ثنتين ومائة وهو ساجد ، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وقيل سبع وقيل ثمان وقيل بلغ مجاهد ثلاثا وثمانين سنة. ينظر التاريخ الكبير ٤١١/٧، الجرح والتعديل ٣١٩/٨، معرفة الثقات ٢٦٦/٢، البداية والنهاية ٢٢٤/٩ ، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤: ٤٥٦ ، شذرات الذهب ١٢٥/١.

(١) تفسير الطبري٥٥/١٩. تفسير السمرقندي ٥٤٨/٢. تفسير الواحدي٧٨٥/٢.

(٢) جزء من الآية رقم ٧١ من سورة الأنعام.

(٣) جزء من الآية رقم ٥٦ من سورة الأنعام، ومن الآية رقم ٥٦ من سورة غافر.

(٤) التفسير الكبير ٢٥/١٣، تفسير الكشاف ٣٦/٢.

ومنه قوله تعالى "حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ"(١)

بل إن الدعاء أخبرنا عنه ﷺ فيما أخرجه الحاكم(٢) وصححه وغيره عن النعمان بن بشير (٣) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إن الدعاء هو العبادة"

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٧ من سورة الأعراف. ولمعنى الآية ينظر التفسير الكبير ٦٠/١٤، تفسير أبي السعود ٢٢٦/٣.

(٢) إمام المحدثين الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد العتبي النيسابوري المعروف بابن البيع، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة في ربيع الأول بنيسابور، طلب الحديث من الصغر باعتناء أبيه وخاله فسمع سنة ثلاثين ورحل إلى العراق وجال في خراسان وما وراء النهر، وقيل سمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك، أخذ عنه أبو بكر البيهقي وغيره، توفي في سنة خمس وأربعمائة من مؤلفاته : المستدرك على الصحيحين، تاريخ نيسابور، ينظر تذكرة الحفاظ ١٠٣٩/٣ ، طبقات الحفاظ ص ٤١٠ ، تاريخ بغداد ٤٧٣/٥، معجم المؤلفين ٢٢٨/١٠.

(٣) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجى له ولأبيه صحبة، يكنى أبا عبد الله ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة، وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ، سكن الكوفة مدة ثم خرج إلى الشام فسكنها روى عن النبي ﷺ، قتل ﷺ في أول سنة خمس وستين وقيل ست بحمص. ينظر الجرح والتعديل ٤٤٤/٨، الثقات ٤١٠/٣، مشاهير علماء الأمصار ص٥١، تهذيب الكمال ٤١١/٢٩، تهذيب التهذيب ٤٩٩/١٠، ٥٠٠، الإصابة ٤٤٠/٦.

ثم قرأ "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"(١) (٢) وعند البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "أشرف العبادة الدعاء".(٣)

ويقول الإمام القرطبي: فالدعاء بمعنى العبادة والإجابة بمعنى القبول ودليله هذا الحديث ، فسمي الدعاء عبادة ومنه قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"(٤) أي دعائي فأمر تعالى بالدعاء وحض عليه وسماه عبادة ووعد بأن يستجيب لهم.

وقال الإمام الشوكاني(٥): والظاهر أن الإجابة هنا هي باقية على

---

(١) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة غافر.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٦٦٧/١ ح رقم ١٨٠٢ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، صحيح ابن حبان ١٧٢/٣ ح رقم ٨٩٠ ، سنن النسائي الكبرى ٤٥٠/٦ ح رقم ١١٤٦٤ ، سنن أبي داود ٧٦/٢ ح رقم ١٤٧٩ ، سنن الترمذي ٢١١/٥ ح ٢٩٦٩.

(٣) الأدب المفرد ص ٢٤٦.

(٤) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة غافر.

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني المالكي، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، كان من أهل الخير والصلاح ووالده أبو طاهر كان من مشاهير المحدثين بخراسان سمع أباه أبا طاهر وأبا الفضل محمد بن أحمد ابن أبي الحسن العارف الميهني، وكانت ولادته في ثلاثة وسبعين ومائة وألف ، وتوفي في خمسين ومائتين وألف بشوكان، له من المؤلفات ما يزيد على المائة ومنها: ==

معناها اللغوي ، وكون الدعاء من العبادة لا يستلزم أن الإجابة هي القبول للدعاء أي جعله عبادة متقبلة فالإجابة أمر آخر غير قبول هذه العبادة والمراد أنه سبحانه يجيب بما شاء وكيف شاء فقد يحصل المطلوب قريبا وقد يحصل بعيدا وقد يدفع عن الداعي من البلاء ما لا يعلمه بسبب دعائه وهذا مقيد بعدم اعتداء الداعي في دعائه كما في قوله سبحانه "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"(١).وقال الحافظ ابن حجر: معنى حديث النعمان أن تحمل العبادة على المعنى اللغوي إذ الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له ، وما شرعت العبادات إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه ، ولهذا ختم الآية بقوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي" حيث عبر عن عدم التذلل والخضوع بالاستكبار ووضع عبادتي موضع دعائي وجعل جزاء ذلك الاستكبار الصغار والهوان.

وقال المناوي: إنما كان من أعظم العبادة وذلك لدلالته على أن فاعله يقبل بوجهه إلى الله معرضا عما سواه ولأنه مأمور به وفعل المأمور به عبادة، وسماه عبادة ليخضع الداعي ويظهر ذلته ومسكنته وافتقاره، إذ العبادة ذل وخضوع ومسكنة. وكانت الأمم الماضية ترفع حوائجها إلى الأنبياء فيرفعونها إلى الله فلما جاءت هذه الأمة أذن لهم في دعائه لكرامتها عليه.(٢)

==نيل الأوطار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وإتحاف الأكابر، وفتح القدير، وإرشاد الفحول. ينظر التحبير في المعجم الكبير ٧٥/٢، الأعلام للزركلي ٢٩٨/٦.

(١) الآية رقم ٥٥ من سورة الأعراف.

(٢) تفسير القرطبي ٣٠٨/٢ ، فتح القدير ١٨٤/١، فتح الباري ٩٥/١١ ، فيض القدير ٥٤٠/٣.

المبحث الثاني
دلالة الدعاء على الإيمان وزيادته

قبل الدخول في دلالـة الدعاء علـى الإيمان وزيادتـه، أود فـي عجالـة التنبيـه علـى معنـى الإيمـان لغـة وشرعا عنـد العلمـاء واخـتلافهم فـي زيادتـه ونقصانه، فأقول: الإيمان في اللغة: التصديق، وفي الشرع: التصديق للرسول فيمـا علـم مجيئـه بـه ضـرورة تفصـيلا فيمـا علـم تفصـيلا وإجمـالا فيمـا علـم إجمـالا، وهذا مـذهب جمهـور المحققين، لكنـهم اختلفوا فـي أن منـاط الأحكـام الأخروية مجرد هذا المعنى أم مع الإقرار، فقال الإمام مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويـه وسـائر أهل الحديث وأهل المدينـة رحمـهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنـه: تصديق بالجنان وإقرار باللسـان وعمل بالأركـان، وذهب الأشعري وأتباعـه إلـى أن التعريـف الاصطلاحي كـاف لأنـه المقصـود، والإقرار إنمـا هو لـيعلم وجوده فإنـه أمر بـاطن ويجري عليـه الأحكـام، وقيـل هـو الطاعـات فرضـا أو نفـلا، وذهـب الجبـائي وابنـه وأكثـر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفترضـة دون النوافل، ، وذهب آخرون إلى أنـه: الإقرار باللسان والتصديق بالجنان فقط، وهو مروي عن أبـي حنيفـة وأصـحابه رحمـهم الله، وذهب الكرامية إلـى أن الإيمـان: هـو الإقـرار باللسـان فقط، وقيل: الإيمان هو المعرفة بالقلب، وهو مروي عن الجهم بن صفوان.

ووجه الضبط أن الإيمان عن فعل القلب والجوارح فهو إما فعل القلب فقط وهو المعرفـة أو التصديق وإمـا فعل الجوارح فقط وهو إمـا اللسان وهو الكلمتان أو غيره وهو العمل بالطاعات وإما فعل القلب والجوارح معا والجارحة

إما اللسان أو سائر الجوارح.. والقول المراد به النطق بالشهادتين، وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح، ليدخل الاعتقاد والعبادات. ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان ومن نفاه إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى

والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءا من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد.(١)

وأما زيادة الإيمان فالذي عليه عامة أهل العلم أن كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان أزيد إيمانا لأن عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين، سئل سفيان بن عيينة عن الإيمان ؟ فقال : قول وعمل . قال : يزيد وينقص ؟ قال : يزيد ما شاء الله ، وينقص حتى لا يبقى منه مثل هذه ، وأشار سفيان بيده ...الخ. وقد ذكر الإمام البخاري في كتابه الجامع الصحيح، والإمام مسلم أيضا بأن الإيمان يزيد وينقص واستدلوا بالآيات القرآنية على ذلك.

---

(١) الإبانة للأشعري ص: ٢٠، الشريعة للآجري ص: ٩٩، التفسير الكبير ٩٦/١٥، شرح العقيدة الطحاوية ٣٧٣/١، الاعتقاد ص: ١٧٤، الاقتصاد في الاعتقاد ص: ٧٢، تفسير ابن كثير ٥٦/١، المواقف ٥٢٧/٣، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ١٥٧/١.

والآيات الدالة على قبول الإيمان للزيادة كثيرة ومنها: قوله تعالى "وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا"(١) ففيها دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، وذهب جماعة منهم الإمام الرازي في قول إلى أن الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه وعدمهما لفظي وهو فرع تفسير الإيمان فمن فسره بالتصديق قال : إنه لا يزيد ولا ينقص ومن فسره بالأعمال مع التصديق قال : إنه يزيد وينقص وعلى هذا قول البخاري : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، وقال النووي وجماعة محققون من علماء الكلام : إن الإيمان بمعنى التصديق القلبي يزيد وينقص أيضا بكثرة النظر ووضوح الأدلة وعدم ذلك، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريه الشبه، ويؤيده أن كل واحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الأحيان أعظم يقينا وإخلاصا منه في بعضها فكذلك التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها.

وذهب الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وكثير من المتكلمين إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص واختاره إمام الحرمين محتجين بأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان وذلك لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان فالمصدق إذا أتى بالطاعات أو ارتكب المعاصي فتصديقه بحاله لم يتغير

(١) الآية رقم ٧٧ من سورة الفرقان.

أصلا وإنما يتفاوت إذا كان اسما للطاعات المتفاوتة قلة وكثرة.(١)

أما من حيث دلالة الدعاء على الإيمان وزيادته فأقول: أطلق الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن الدعاء هو الإيمان ، وقال ابن حجر: ووجه الدلالة للمصنف أن الدعاء عمل وقد أطلقه على الإيمان ، وقال ابن عباس: في قوله تعالى "قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا"(٢): قال: يقول:- لولا إيمانكم ، أخبر الله الكفار أنه لا يعبأ بهم ولولا إيمان المؤمنين لم يعبأ بهم أيضا، وقال غيره: الدعاء هنا مصدر مضاف إلى المفعول والمراد: دعاء الرسل الخلق إلى الإيمان، فالمعنى ليس لكم عند الله عذر إلا أن يدعوكم الرسول فيؤمن من آمن ويكفر من كفر، فقد كذبتم أنتم فسوف يكون العذاب لازما لكم.(٣)

وأخرج الترمذي(٤) من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "الدعاء

---

(١)صحيح البخاري ٤٨/١، صحيح مسلم ٥٠/١، التفسير الكبير ٩٦/١٥، روح المعاني ١٦٥/٩، فتح الباري لابن حجر ٩/١، شرح النووي على مسلم ١٤٤/١.

(٢) الآية رقم ٧٧ من سورة الفرقان.

(٣) صحيح البخاري ١١/١، التسهيل لعلوم التنزيل ٨٢/٣ ، التفسير الكبير ١٠٢/٢٤ ، فتح الباري ٤٩/١ ، اعتقاد أهل السنة ٥٧٧/٤ ، توحيد الألوهية ٥٢/٨.

(٤) أبو عيسى الترمذي الحافظ الضرير محمد بن عيسى بن سورة السلمي مصنف الجامع وكتاب العلل ولد في حدود سنة عشر ومائتين ارتحل فسمع بخراسان والعراق والحرمين ولم يرحل إلى مصر والشام وبشأن أنه ضرير فالصحيح أن ذلك كان في كبره وبعد رحلته وكتابته العلم توفى رحمه الله في ثالث عشر من رجب= =

مخ العبادة"[١] ، ومعنى مخ العبادة: أي خالصها. لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة فوقها فكان مخها بهذا الاعتبار، وأيضا لما فيه من إظهار الافتقار والتبري من الحول والقوة، وهو سمت العبودية واستشعار ذلة البشرية ومتضمن للثناء على الله وإضافة الكرم والجود إليه.

والدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة من حيث إنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله معرض عما سواه لا يرجو ولا يخاف إلا منه

ويقول الإمام الألوسي(٢): المراد من الدعاء كما قال غير واحد:

==سنة تسع وسبعون ومائتين بترمذ . ينظر تذكرة الحفاظ ٦٣٣/٢ : ٦٣٦ سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣ ، ٢٧١ طبقات الحفاظ ص ٢٨٢ تهذيب التهذيب ٣٤٤/٩ تهذيب الكمال ٢٥٠/٢٦.

(١) سنن الترمذي ٤٥٦/٥ ح رقم ٣٣٧١

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها ولد في سبعة عشر ومائتين وألف، ومات في سبعين ومائتين وألف. ونسبة الأسرة الألوسية إلى جزيرة ألوس في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد فر إليها جد هذه الأسرة من وجه هولاكو التتري عندما دهم بغداد، فنسب إليها، تقلد الإفتاء ببلده سنة وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر إلى الموصل وغيرها، ثم عاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي. من كتبه: روح المعاني ،كشف الطرة عن= =

السؤال والطلب وهو مخ العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وأنه عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم الحاجة وهو قادر على إيصالها إليه ولا شك أن معرفة العبد نفسه بالعجز والنقص ومعرفته ربه بالقدرة والكمال من أعظم العبادات.

ويقول النسفي(١): وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد.(٢)

وأورد الإمام المناوي في فيض القدير وصاحب كنز العمال حديثا عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: "إذا دعا العبد بدعوة فلم تستجب له كتبت له حسنة"(٣)

==الغرة، شرح به درة الغواص للحريري،ومقامات في التصوف والأخلاق. الأعلام للزركلي ١٧٦/٧، معجم المؤلفين ١٧٥/١٢.

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات حافظ الدين وأحد الزهاد المتأخرين صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول له المستصفى في شرح المنظومة وله شرح النافع سماه بالمنافع وله الكافي في شرح الوافي والوافى تصنيفه أيضا وله مدارك التنزيل في تفسير القرآن. توفى ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبع مائة ودفن ببلده إيذج من كور أصبهان. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١٧/٣، طبقات الحنفية ٢٧٠/١، الأعلام للزركلي ٦٧/٤.

(٢) روح المعاني ١٣٩/٨ ، تفسير النسفي ٧٨/٤ ، فيض القدير ٥٤٠/٣.

(٣) سنن الترمذي ١١٥/٥ح رقم ٣٠٧٣، مستخرج أبي عوانة ٤٧٧/١، صحيح ابن حبان ١٠٥/٢ ح رقم ٣٨١، فيض القدير ٣٤٤/١ وقال: خط في ترجمة عمرو=

ومعنى هذا الحديث أن العبد المسلم إذا دعا بدعوة فلم يستحب له أي لم يعط عين مطلوبه وإلا فالإجابة واقعة بوعده تعالى لكنها تارة تكون في الدنيا وتارة في الآخرة وتارة يحصل التعويض بأنفع فإذا اقتضت مصلحة عدم إجابته في عين المسئول كتبت له حسنة أي أمر الله كاتب اليمين أن يكتب له بها حسنة عظيمة مضاعفة كما يفيده التنكير فالمكتوب عشر حسنات لقوله ﷺ في الحديث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل "إذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها كتبتها له حسنة، فإذا عملها فهي عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف، وإذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها لم أكتبها عليه، وإن عملها كتبتها عليه سيئة واحدة"[1] وذلك لرضاه بمراده تعالى فيه وذلك لأن الدعاء عبادة بل هو مخها كما تقدم.

وانظر إلى جميل العبارة وحسن المعنى ولطيف الحكمة في حكم ابن عطاء الله حيث يقول: لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد. ولا يشككك في الوعد عدم وقوع الموعود

=بن أيوب العابد عن هلال بن يساف بفتح التحتية وبمهملة خفيفة الأشجعي مولاهم الكوفي مرسلا ، أرسل عن عائشة وغيرها ، قال في الكشاف ثقة ، كنز العمال ٢/ ٣٠ ح رقم ٣١٥٠ وقال: خط عن هلال بن يساف الكوفي أدرك عليا ، وقال ابن سعد في الطبقة الثانية: من أهل الكوفة وكان ثقة كثير الحديث، تهذيب التهذيب لابن حجر ١١ ٨٦ مرسلا.

(١) صحيح مسلم ١/١١٧ ح رقم ١٢٨.

وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك.

ويكفي العبد عوضا من إجابته ما أقيم فيه من المناجاة وإظهار الافتقار والانكسار، وقد يمنع العبد الإجابة لرفعة مقامه عند الله وقد يجاب كراهة لسماع صوته فليحذر الداعي أن يكون حال دعائه ممن قضيت حاجته لكراهة الله له لا لمحبته(١).

ويقول ابن تيمية(٢) في هذا الشأن: وإذا دعا العبد ربه بإعطاء المطلوب ودفع المرهوب جعل له من الإيمان بالله ومحبته ومعرفته وتوحيده ورجائه وحياة قلبه واستنارته بنور الإيمان ما قد يكون أنفع له من ذلك المطلوب إن كان عرضا من الدنيا ، وأما إذا طلب منه أن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته وما يتبع ذلك فهنا المطلوب قد يكون أنفع من الطلب

(١) إيقاظ الهمم ص ١٣، فيض القدير ١/ ٣٤٤.

(٢) الشيخ الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد المفسر شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مائة بحران، وقدم مع أهله إلى دمشق سنة سبع فسمع من بن عبد الدائم وابن أبي اليسر والكمال بن عبد وابن الصيرفي وابن أبي الخير وخلق كثير وعني بالحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ وخرج وانتقي وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك، حدث بدمشق ومصر وغيرهما الكثير، توفي في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مائة. ينظر تذكرة الحفاظ ١٤٩٧/٤، معجم المحدثين ص ٢٥، البدر الطالع ٦٣/١، معجم الذهبي ص٢٥، الدرر الكامنة ١٦٨/١.

وهو الدعاء والمطلوب الذكر والشكر وقيام العبادة على أحسن الوجوه وغير ذلك.

والمقصود أن القلب قد يغمره فيستولى عليه ما يريده العبد ويحبه وما يخافه ويحذره كائنا من كان والقلب يغرق فيما يستولى عليه إما من محبوب وإما من مخوف كما يوجد من محبة المال والجاه والصور والخائف من غيره يبقى قلبه وعقله مستغرقا فيه كما يغرق الغريق في الماء فلا بد أن يستولى عليها ما يحيط بها من الأجسام والقلوب يستولى عليها ما يتمثل لها من المخاوف والمحبوبات والمكروهات فالمحبوب يطلبه والمكروه يدفعه والرجاء يتعلق بالمحبوب والخوف يتعلق بالمكروه ولا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب السيئات إلا الله.(١)

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٩٥/١٠ ، فيض القدير ٣٤٤/١، إيقاظ الهمم شرح حكم ابن عطاء الله ص ١٣ ، ١٤.

المبحث الثالث
دلالة الدعاء على بعض الصفات الإلهية

يقول الطحاوي(١): قد ندب الله تعالى إلى الدعاء. وفي ذلك معان: أحدها: الوجود فإن من ليس بموجود لا يدعى. الثاني: الغنى فإن الفقير لا يدعى. الثالث: السمع فإن الأصم لا يدعى. الرابع: الكرم فإن البخيل لا يدعى. الخامس: الرحمة فإن القاسي لا يدعى. السادس: القدرة فإن العاجز لا يدعي ومن يقول بالطبائع يعلم أن النار لا يقال لها كفي ولا النجم يقال له أصلح مزاجي لأن هذه عندهم مؤثرة طبعا لا اختيارا فشرع الدعاء وصلاة الاستسقاء ليبين كذب أهل الطبائع.(٢)

---

(١) أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك أبو جعفر الطحاوي نسبة إلى قرية طحا بصعيد مصر، الفقيه الحنفي صاحب المصنفات المفيدة والفوائد الغزيرة، وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة، وهو ابن أخت المزني، ولد في سنة تسع وعشرين ومائتين وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها، سمع هارون ابن سعيد الأيلي وطائفة من أصحاب ابن عيينة وابن وهب، وصنف كتبا كثيرة منها: العقيدة السنية وأحكام القرآن واختلاف العلماء ومعاني الآثار والتاريخ الكبير. ينظر البداية والنهاية ١١/١٧٤، العبر في خبر من غبر ٢/١٩٢، شذرات الذهب ٢/٢٨٨.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥١٩.

وأخرج الإمام أحمد(١) والترمذي والحاكم وغيرهم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء"(٢). يقول المناوي: وإنما كان أكرم شيء لدلالته على قدرة الله وقوته وعجز الداعي ، ولأن فيه إظهار الفقر والتذلل أيضا ، ولأنه سبب لنيل الحظوظ التي جعلت لنا في الغيب ، ولذلك صار للدعاء من السلطان ما يرد القضاء.(٣)

وإذا تصفحنا القرآن نجد ربنا يذكر لنا فيه آية يحدثنا فيها عن التقوى

---

(١) هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا، أحد الأئمة الأعلام، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي، ثم البغدادي، إمام في الحديث والفقه وصاحب المذهب الحنبلي ولد في ربيع الأول ببغداد سنة أربع وستين ومائة ونشأ بها، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة في العام الذي مات فيه مالك، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة في طلب العلم، ومن مؤلفاته: المسند، والزهد، وغير ذلك، سمع سفيان بن عيينة وطبقته ووكيع ويحيى القطان، وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة، توفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين. ينظر تذكرة الحفاظ ٤٣١/٢، ٤٣٢ سير أعلام النبلاء ١٧٧/١١، ١٧٨ ، طبقات الحفاظ ص١٨٩ معجم المؤلفين ٢ / ٩٦.

(٢) مسند أحمد ٣٦٢/٢ ح رقم ٨٧٣٣ عنه ، سنن الترمذي٥/٤٥٥ ح رقم ٣٣٧٠ عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. صحيح ابن حبان ١٥١/٣ ح رقم ٨٧٠ عنه ، المستدرك ٦٦٦/١ ح رقم ١٨٠١ عنه وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) فيض القدير ٤٦٦/٥، التيسير بشرح الجامع الصغير ٦٢٨/٢ ، تحفة الأحوذي ٢١٨/٩.

وأن المتقي هو من أكرم الناس على الله فيقول: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" فلا منافاة بين الآية والحديث لأنه كما جاء عند المناوي: كل شيء إنما يشرق في بابه فإنه يوصف بالكرم، قال تعالى "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ"[(١)] وإنما كان أكرم الناس أتقاهم لأن الكرم من الأفعال المحمودة وأكرمها ما يقصد به أشرف الوجوه ، وأشرفها ما يقصد به وجه الله فمن قصد ذلك بمحاسن أفعاله فهو التقي فإذن أكرمهم أتقاهم وعلى هذا حكم الدعاء فإنه مخ العبادة.[(٢)]

وهناك أسماء قرنت بنصوص الدعاء لفظا ومعنى ، أو معنى فقط ؛ كالقريب ، والمجيب ، والمغيث ، والبرّ ، والرّحيم ، والحي ، والكريم ، ولعل في ذلك تنبيه جلي على أنها من أكثر الأسماء دلالة على إجابة الدّعاء ، واستحالة إخلاف الوعد بقبوله ، قال تعالى "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"[(٣)] وقال: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"[(٤)] ، وقال: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ"[(٥)] ، وقال: "إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ".[(٦)]

---

(١) الآية من سورة الشعراء رقم ٧.
(٢) فيض القدير ٣٦٦/٥.
(٣) جزء من الآية رقم ١٨٦ من سورة البقرة.
(٤) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة غافر.
(٥) جزء من الآية رقم ٩ من سورة الأنفال.
(٦)جزء من الآية رقم ٢٨ من سورة الطور.

وأخـــــرج أحمـــــد وأبـــــو داود(١) والترمـــــذي وحســـنه وابـــن ماجـــه(٢) والحـــاكم وصـــححه وابـــن حبـــان(٣)

---

(١)هو الإمام الحافظ البصري أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود، روى عن ابن عون وشعبة وروى عنه بندار وابن الفرات، وكان أصله فارسيا مولى قريش، كان ثقة وكان كثير الحفظ، مات سنة ثلاث ومائتين وقيل أربع. ينظر الكاشف ٤٥٩/١، التاريخ الكبير ١٠/٤، سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٩، معرفة الثقات ٤٢٧/١.

(٢) الحافظ الكبير المفسر أبو عبد الله القزويني محمد بن يزيد بن ماجة الربعي، رحل إلى بغداد والبصرة والكوفة ومكة والشام ومصر والري ، وسمع الكثير منهم أبا بكر بن أبي شيبة وغيره، مولده في سنة تسع ومائتين ومات لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، من تصانيفه: السنن والتفسير والتاريخ. ينظر تذكرة الحفاظ ٦٣٦/٢، سير أعلام النبلاء ٢٧٧/١٣ وما بعدها، شذرات الذهب ١٦٤/٢، طبقات الحفاظ ص ٢٨٣، معجم المؤلفين ١١٥/١٢.

(٣) هو الحافظ المحدث أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الشافعي البستي، ولد في بست من بلاد سجستان سنة سبعين ومائتين، وسمع خلائق بخراسان والشام ومصر والجزيرة وولي قضاء سمرقند مدة، وكان ممن سمعهم النسائي وأبا علي الموصلي وأبا بكر بن خزيمة، مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، من مصنفاته: الثقات والمسند الصحيح والتاريخ والضعفاء. ينظر تذكرة الحفاظ ٩٢٠/٣ وما بعدها، طبقات الحفاظ ص ٣٧٦، ميزان الاعتدال ٩٨/٦ وما بعدها، معجم المؤلفين ١٧٣/٩.

والبيهقي(١) في الأسماء والصفات عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال "إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا خائبتين"(٢)

---

(١) هو شيخ خراسان الحافظ أبو بكر البيهقي الشافعي: أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان، سمع أبا عبد الله الحاكم وأبا بكر بن فورك وأبا علي الروذباري وأبا عبد الرحمن السلمي وغيرهم بخراسان وغيرها، ولم يكن عنده سنن النسائي ولا جامع الترمذي ولا سنن ابن ماجه بل كان عنده الحاكم فأكثر عنه، وكان أوحد أهل زمانه في الإتقان والحفظ والفقه والتصنيف، وعمل كتبا لم يسبق إلى تحريرها منها: الأسماء والصفات وشعب الإيمان ودلائل النبوة والزهد والسنن الكبير والسنن الصغير ومعرفة السنن والآثار والمبسوط في جمع نصوص الشافعي والخلاف والبعث والنشور ومناقب الشافعي وغير ذلك ، قيل فيه: ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي فإن له على الشافعي منه لتصانيفه في نصرة مذهبه، توفي بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربع مائة في جمادى الأولى. ينظر تذكرة الحفاظ ١١٣٢/٣ وما بعدها، سير أعلام النبلاء ١٦٣/١٨ وما بعدها، شذرات الذهب ٣٠٤/٣، البداية والنهاية ٩٤/١٢، طبقات الشافعية ٢٢١/١، معجم المؤلفين ٢٠٦/١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤٣٨/٥ ح رقم ٢٣٧٦٥ ، سنن أبي داود ٧٨/٢ ح رقم ١٤٨٨ باب الدعاء ، سنن الترمذي ٥٥٦/٥ ح رقم ٣٥٥٦ ، سنن ابن ماجه ١٢٧١/٢ ح رقم ٣٨٦٥ ، المستدرك على الصحيحين ٦٧٥/١ ح رقم ١٨٣١، صحيح ابن حبان ١٦٠/٣ ح رقم ٨٧٦ باب ذكر الإخبار عما يستحب للمرء عند إرادة الدعاء رفع اليدين ، سنن البيهقي الكبرى ٢١١/٢ح رقم ٢٩٦٤ باب رفع اليدين في القنوت.

ومن أهم الأسماء التي قرنت بنصوص الدعاء اسم السميع واسم العليم ، قال تعالى: "إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ"[١] وقال:"فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[٢] أي سميع لكل من دعاه ، سميع لدعوات الملتجئين إليه ، لا تختلف عليه الأصوات ، مهما اختلفت اللغات، وتفننت الحاجات ، وعليم بأحوال الدعاة وبما يصلح الداعي وما يفسده ، وبمن يستحق الإجابة ، ومن يستحق الرد ، فهما صفتان لائقتان لقوله تعالى: "فَاسْتَجَابَ".[٣]

---

(١) جزء من الآية رقم ٣٩ من سورة إبراهيم.
(٢) الآية رقم ٣٤ من سورة يوسف.
(٣) الكشاف ٤٤١/٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٤٢/٣ ، روح المعاني ٢٣٦/١٢.

المبحث الرابع
الدعاء وإجابة المطلوب

يقول الحليمي رحمه الله: إن سأل سائل: عن قول الله عز وجل: "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"(١) وقال: قد يدعي فلا يستجيب، فما وجه هذا؟ قيل: أمره جل جلاله بالدعاء للإجابة، كالأمر بالتداوي للعافية، وخلق له الدواء لإماطة الداء، ثم قد يتداوى فلا تكون العافية، وقد يتداوى من الداء بدوائه فلا يزول، ولا سؤال يؤخذ هناك فكذلك هاهنا. ونقول: معنى قوله جل ثناؤه "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" أي بحسب نظري لكم ورحمتي لكم، لا بحسب أهوائكم وأمانيكم، صحت أو فسدت، لأن هذه الآية غير مفردة في القرآن عن أخرى فيها بينا بها، وهو قوله عز وجل: "وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ"(٢) "وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا"(٣) وذلك والله أعلم- على معنى أنه ربما دعا بما هو شر له ولا يدري، فيحسبه خيرا له.

فدلت الآيتان جميعا على أن الله تعالى إنما يستجيب الدعاء بالمستجمع شرائطه إذا علم للداعي فيما سأل خيرا، فأما إذا علم أن له فسادا أو شرا فإنه لا يستجيب له دعاءه إكراما وثوابا له بدعائه، ولكنه إذا كان

---

(١) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة غافر.

(٢) جزء من الآية رقم ٧١ من سورة المؤمنون.

(٣) جزء من الآية رقم ١١ من سورة الإسراء.

عليه ساخطا فقد يفعل ذلك به عقوبة له والله أعلم.

وقيل: ليس بشيء من دعاء المؤمنين إذا استجمع شرائطه غير مستجاب لأنهما منزلتان الإجابة أو الرد، فإذا لم يكن رد فليس إلا الإجابة، والرد أن لا يعطي بدعائه شيئا فتكون منزلته بعد ما دعا كمنزلته قبل أن يدعو، أو ما عدا هذا فليس برد وإنما هو إجابة، إلا أن الإجابة تختلف كما قال النبي ﷺ "ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مأثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه إحدى ثلاث، إما أن يستجيب له دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها أو يدخر له من الأجر مثلها، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر، قال: الله أكثر"(١). فبان بهذا الحديث أن الإجابة تنقسم إلى ستة أقسام: أحدها: عطاء السائل عما سأل، ثم قد يكون ذلك قريبا، وقد يكون بعيدا، والآخر: تعويضه منه مثله إما خيرا بعطائه، وإما شرا يصرف عنه، وهذا أعظم ما تكون معنى للإجابة، والثالث: أن يعوضه في الآخرة، ومعنى ذلك أن يغفر له، فكان ما سأل في الدنيا دينا أو ذنوبا في الآخرة، فيعود هذا إلى صرف بلية بقدر ما سأل بدعائه لأنه لا بلية أعظم من النار، فإذا أشرق عليها، ثم صرف عنها كان سروره بذلك أشد من سروره في الدنيا بما سأله لو كان

---

(١) موطأ مالك ص٢١٧ ح رقم ٥٠٤، مسند أحمد ٢١٣/١٧ ح رقم ١١١٣٣عن أبي سعيد الخدري، سنن الترمذي ٥٦٦/٥ ح رقم ٣٥٧٣ عن عبادة بن الصامت، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، المستدرك على الصحيحين ٦٧٠/١ ح رقم ١٨١٦ عن أبي سعيد ﷺ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي.

أعطاه، وفي هذا أيضا إجابة دعائه، لأنه لا يخلو من أن يعطى به شيئا كان لا يعطاه ولا دعاه، وليس هذا من الرد بمستحيل. إلى آخر ما بينه رحمه الله.(١)

فظهر بهذا خطأ من يقول: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا، وخطأ من يقول: دعوت فلم يستجب، وغير ذلك من الألفاظ التي تدل على عدم فهم مقام الدعاء وفهم معنى إجابة الدعاء من عدمها، وبين هذا المعنى أيضا الإمام الرازي وغيره من العلماء، وهو إجابة الداعي لعين مطلوبه أو إجابته بما وعد الله من أمور أخرى، فيقول الإمام الرازي: وهنا أمر مشكل مشهور وهو أنه تعالى قال: "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"(٢) وقال: "أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"(٣) وكذلك يقول: "أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ"(٤) ثم إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب.

ولكن هذه الآيات وإن كانت مطلقة إلا أنه قد وردت ءاية أخرى مقيدة وهي قوله تعالى "بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء"(٥) ولا شك أن المطلق محمول على المقيد.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ٥٤١/١ وما بعدها.

(٢) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة غافر.

(٣) جزء من الآية رقم ١٨٦ من سورة البقرة.

(٤) جزء من الآية رقم ٦٢ من سورة النمل.

(٥) جزء من الآية رقم ٤١ من سورة الأنعام. وينظر لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ٣١٢/٣،

ثم إن تقرير المعنى فيه وجوه:- أحدها: أن الداعي لا بد وأن يجد من دعائه عوضا، إما إسعافا بطلبه الذي لأجله دعا، وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء فإنه يعطي سكينة في نفسه وانشراحا في صدره وصبرا يسهل معه احتمال البلاء الحاضر، وعلى كل حال فلا يعدم فائدة وهو نوع من الاستجابة. وثانيها: ما أخرجه الإمام أحمد وغيره قال: قال رسول الله ﷺ "ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مأثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه إحدى ثلاث، إما أن يستجيب له دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها أو يدخر له من الأجر مثلها، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر، قال: الله أكثر "(١)

وهذا الخبر تمام البيان في الكشف عن هذا السؤال لأنه تعالى قال "ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ" ولم يقل أستجب لكم في الحال فإذا استجاب له ولو في الآخرة كان الوعد صدقا.

وثالثها: أن قوله "ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ" يقتضي أن يكون الداعي عارفا بربه وإلا لم يكن داعيا له بل لشيء متخيل لا وجود له ألبتة، فثبت أن شرط الداعي أن يكون عارفا بربه، ومن صفات الرب سبحانه أن لا يفعل إلا ما وافق قضاءه وقدره وعلمه وحكمته، فإذا علم أن صفة الرب هكذا، استحال منه أن يقول بقلبه وبعقله يا رب افعل الفعل الفلاني لا محالة، بل لا بد وأن يقول: افعل هذا الفعل إن كان موافقا لقضائك وقدرك وحكمتك، وعند هذا يصير الدعاء الذي دلت الآية على ترتيب الإجابة عليه مشروطا بهذه

---

(١) سبق تخريجه عند كلام الإمام الحليمي في نفس المبحث.

الشرائط وعلى هذا التقدير زال السؤال.

الرابع: أن لفظ الدعاء والإجابة يحتمل وجوها كثيرة:-

أحدها: أن يكون الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله كقول العبد: يا ألله الذي لا إله إلا أنت وهذا إنما سمي دعاء لأنك عرفت الله تعالى ثم وحدته وأثنيت عليه فهذا يسمى دعاء بهذا التأويل، ولما سمي هذا المعنى دعاء سمي قبوله إجابة لتجانس اللفظ، ومثله كثير. وقيل: "أُجِيبُ" ههنا بمعنى: أسمع. لأن بين السماع وبين الإجابة نوع ملازمة فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر، فقولنا: سمع الله لمن حمده، أي: أجاب الله، فكذا ههنا قوله: "أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ" أي أسمع تلك الدعوة فإذا حملنا قوله تعالى "ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ" على هذا الوجه زال الإشكال.

وثانيها: أن يكون المراد من الدعاء التوبة عن الذنوب وذلك لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة وإجابة الدعاء بهذا التفسير عبارة عن قبول التوبة وعلى هذا الوجه أيضا لا إشكال.

وثالثها: أن يكون المراد من الدعاء العبادة وقد تقدم ذلك فظهر أن الدعاء ههنا هو العبادة وإذا ثبت هذا فإجابة الله تعالى للدعاء بهذا التفسير عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كما قال "وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ"(١) وعلى هذا الوجه الإشكال زائل.

---

(١) الآية رقم ٢٦ من سورة الشورى.

ورابعها: أن يفسر الدعاء بطلب العبد من ربه حوائجه فالسؤال المذكور إن كان متوجها على هذا التفسير لم يكن متوجها على التفسيرات الثلاثة المتقدمة فثبت أن الإشكال زائل.(١)

وفسر القشيري رحمه الله آية غافر السابقة، ومعنى الإجابة، فقال: معناه: ادعوني أستجب لكم إن شئت، ويقال ادعوني بشرط الدعاء، وشرط الدعاء الأكل من الحلال، إذ يقال: الدعاء مفتاحه الحاجة، وأسبابه اللقمة الحلال، ويقال كلّ من دعاه استجاب له إمّا بما يشاء له، أو بشيء آخر هو خير له منه، ويقال: إذا ثبت أن هذا الخطاب للمؤمنين، فما من مؤمن يدعو الله ويسأله شيئا إلا أعطاه في الدنيا، فأما في الآخرة فيقول له: هذا ما طلبته في الدنيا، وقد ادخرته لك لهذا اليوم حتى ليتمنى العبد أنه ليته لم يعط شيئا في الدنيا قط، ويقال ادعوني بالطاعات أستجب لكم بالثواب والدرجات، ويقال: ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة، ويقال: ادعوني بالتنصل أستجب لكم بالتفضّل، ويقال: ادعوني بحسب الطاقة أستحب لكم بكشف الفاقة، ويقال: ادعوني بالسؤال أستجب لكم بالنّوال والإفضال.(٢)

وهذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى سؤاله وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وليس أحد كَذَلِكَ غَيْرُكَ

---

(١) التفسير الكبير ٢٦٤/٥، اللباب في علوم الكتاب ١٤٧/٨.

(٢) لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ٣١٣/٣.

يَا رَبِّ. وقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ ثَلَاثًا لَمْ تُعْطَهُنَّ أمة قبلها ولا نبي: كان إذا أرسل الله نبيا قال لَهُ: أَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى أُمَّتِكَ وَجَعَلْتُكُمْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، وَقَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: "وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ"(١)وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ادْعُنِي أَسْتَجِبْ لَكَ وَقَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. (٢)

---

(١) جزء من الآية رقم ٧٨ من سورة الحج.

(٢) تفسير ابن كثير ١٣٩/٧.

المبحث الخامس
الدعاء والقضاء والقدر
المطلب الأول
معنى القضاء والقدر

قبل الدخول فيما يتعلق بالدعاء وما يصنعه مع القضاء والقدر، وما ورد في ذلك من ءايات وأحاديث، أود التنبيه على معنى القضاء والقدر في عجالة حتى يتم الكلام عن المبحث وتظهر فائدته، فأقول:

القرآن والسنة كلاهما فسر معنى القضاء، إلا أن القرآن لم ترد فيه كلمة القضاء اسما ممدودا هكذا (القضاء) بل وردت فعلا وغير ذلك، وأما الأحاديث فقد تكرر ذكره، أما من حيث معنى القضاء في اللغة فقد جاء في معجم مقاييس اللغة: قضى: القاف والضاد والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته.

وجاء في لسان العرب وغيره: والقضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله أو أُتِمَّ أَو خُتِمَ أَو أُدِّيَ أَداء أَو أُوجِبَ أَو أُعْلِمَ أَو أُنْفِذَ أَو أُمْضِيَ فَقَدْ قُضِيَ، وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ كُلُّهَا فِي الْحَدِيثِ.

والقَضاء: الْحُكْمُ، وَالْجَمْعُ الأَقْضِيةُ، والْقَاضِي مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ: القاطِع للأُمور المُحكم لَهَا، واسْتُقْضِي فُلَانٌ، أَي جُعِل قاضِياً يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ، والقَضايا: الأَحكام، وَاحِدَتُهَا قَضِيَّةٌ، وأَصل القضاء: القَطْع وَالْفَصْلُ، يُقَالُ: قَضَى يَقْضِي قَضَاء فَهُوَ قاضٍ، إِذا حَكَم وفَصَلَ.

وفي الاصطلاح: عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد، وفي اصطلاح الفقهاء: القضاء: تسليم

والقَضاء في القرآن جاء على وجوه منها: الإِحْكام والإِمْضاء والخَلْق والصنع والتقدير والإتمام، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ"(١) أَي فَخَلَقَهُنَّ وعَمِلهن وَصَنَعَهُنَّ وقطَعَهن وأَحكم خَلْقَهُنَّ. (٢)

وَثَانِيهَا: بِمَعْنَى الْأَمْرِ والحتم وفصل الحكم بين العباد قَالَ تَعَالَى: "وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ".(٣)

وَثَالِثُهَا: بِمَعْنَى الْإِخْبَارِ والإعلام، قَالَ تَعَالَى: "وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ"(٤) أَيْ أَخْبَرْنَاهُمْ وأعلمناهم ، وهذا يأتي مقرونا بإلى، وقَضى عَلَيْهِ عَهْداً: أَوصاه وأَنفذه، وَمَعْنَاهُ الْوَصِيَّةُ، وَبِهِ تفسر الآية السابقة أيضا، أَي عَهِدْنا، وَهُوَ بِمَعْنَى الأَداء والإِنْهاء.

ورابعها: أَنْ يَأْتِيَ بِمَعْنَى الْفَرَاغِ مِنَ الشَّيْءِ قَالَ تَعَالَى: "فَلَمَّا قُضِيَ

---

(١) جزء من الآية رقم ١٢ من سورة فصلت.

(٢) تفسير الرازي ٢٤/٤، التعريفات ص ١٧٧، النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٨/٤، معجم مقاييس اللغة ٩٩/٥، لسان العرب ١٨٦/١٥.

(٣) جزء من الآية رقم ٢٣ من سورة الإسراء. وينظر تفسير الطبري ٥٤٢/٢، تفسير الرازي ٢٤/٤، ٤٨٠/١٢، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣١/٣.

(٤) جزء من الآية رقم ٢٩ من سورة الأحقاف. وينظر تفسير الطبري ٥٤٢/٢، تفسير الرازي ٣٣٣/٥. ٢٥/٤، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣١/٣.

وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ"(١) يَعْنِي لَمَّا فُرِغَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ تَعَالَى: "وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ"(٢) يَعْنِي فُرِغَ مِنْ إِهْلَاكِ الْكُفَّارِ وَقَالَ: "لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ"(٣) بِمَعْنَى لِيَفْرُغُوا مِنْهُ. وَقَالَ تَعَالَى: "فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ"(٤) بِمَعْنَى الْفَرَاغِ، تَقُولُ: قَضَيت حَاجَتِي.

وخامسها: يكون أَيْضا بِمَعْنى أَرَادَ، وَهُوَ قريب من معنى حكم، ومن ذلك قوله تعالى: "إِذا قَضى أَمْراً"(٥) قِيلَ: إِذَا خَلَقَ شَيْئًا، وَقِيلَ: حَكَمَ بِأَنَّهُ يَفْعَلُ شَيْئًا، وَقِيلَ: أَحْكَمَ أَمْرًا.

وسادسها: قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَاقْضِ مَا أَنْتَ قاضٍ"(٦) مَعْنَاهُ: فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك. وهناك اشتقاقات أخرى ومعان غير ما بينت

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٩ من سورة الأحقاف. وينظر تفسير الطبري ١٣٩/٢٢، تفسير الرازي ٢٥/٤.

(٢) جزء من الآية رقم ٤٤ من سورة هود. وينظر تفسير الطبري ٣٣٤/١٥، تفسير الرازي ٢٥/٤.

(٣) جزء من الآية رقم ٢٩ من سورة الحج. وينظر تفسير الرازي ٢٥/٤.

(٤) جزء من الآية رقم ١٤ من سورة سبأ.

(٥) جزء من الآية رقم ١١٧ من سورة البقرة، وفي سورة آل عمران بدون الواو وذلك في الآية رقم ٤٧، وفي سورة مريم رقم ٣٥، وأما في سورة غافر فجاءت بالفاء من الآية رقم ٦٨. وينظر تفسير الطبري ٥٤٢/٢، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣١/٣.

(٦) جزء من الآية رقم ٧٢ من سورة طه. وينظر تفسير الطبري ٣٤١/١٨، تفسير القرطبي ٢٢٦/١١.

ءانفا، قد ذكرت في كتب اللغة وغيرها، وسيأتي في تعريف القدر إضافة أخرى لبيان القضاء، نظرا لصلة القضاء بالقدر، فقد قال العلماء: القَضاء والقَدَر أَمْرَانِ مُتَلازِمان لَا يَنْفَك أحدُهما عَنِ الآخَر، لِأَنَّ أحدَهُما بمَنْزلة الْأَسَاسِ وَهُوَ القَدَر، والآخَرَ بِمَنْزِلَةِ البِناء وَهُوَ القَضاء.(١)

وأما القدر في اللغة العربية: يقول صاحب معجم مقاييس اللغة: القاف والدال والراء: أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر مبلغ كل شيء، والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها الله لها، والقدر أيضا: الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء، تقول: قدرت الْبناء تقديرا إذا رتبته وحددته، فمعنى قضى وقدر: حكم ورتب، ويطلق القدر على معان عدة منها: الحكم، والقضاء، والطاقة، والتضييق، والتقدير.

وأما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء فيه، وإن كان أغلبها يتفق في المعنى، فقيل: هو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور، والقدر: تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة، فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان وعين وسبب معين عبارة عن القدر، وقيل: القدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحدا بعد واحد، مطابقا للقضاء، والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال، والقدر بوضعه يدل على

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٨/٤، تاج العروس ٣١١/٣٩، لسان العرب ١٨٦/١٥.

القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم، ويتضمن الإرادة عقلا والقول نقلا، وحاصله وجود شيء في وقت وعلى حال بوفق العلم والإرادة والقول.

ويفرق العلماء بين القضاء والقدر بأن: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله، وقيل: القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها، وقيل: القدر على وجهين:-

أحدهما: الحد الذي يخرج الشيء وهو جعل كل شيء على ما هو عليه من خير أو شر من حسن أو قبح من حكمة أو سفه، وهو تأويل الحكمة أن يجعل كل شيء على ما هو عليه ويصيب في كل شيء الأولى به، والثاني بيان ما عليه يقع كل شيء من زمان ومكان وحق وباطل وما له من الثواب والعقاب

وقيل: معنى القضاء والقدر حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا فقط. وقيل: المراد بالقدر التقدير، وبالقَضاء الخَلق، فالقَضاء والقَدَرُ أَمران مُتَلازمان لَا يَنْفك أَحدهما عَنِ الْآخَرِ، لأَن أَحدهما بِمَنْزِلَةِ الأَساس وَهُوَ القَدر، وَالْآخَرُ بِمَنْزِلَةِ الْبِنَاءِ وَهُوَ القَضاء، وقِيل: القدر سر، وَالْقَضَاء ظُهُور السِّرّ على اللَّوْح، وَالْحكم نُزُوله على العَبْد، فَالْحكم يَقْتَضِي التَّسْلِيم، وَالْقَضَاء يَقْتَضِي الرِّضَا، وَالْقدر يَقْتَضِي التَّفْوِيض، وَالْقدر فِي علم الله عز وَجل لَا فِي وَجه اللَّوْح، والقلم الِاطِّلَاع، وَإِذا اطلع اللَّوْح عَلَيْهِ سمي قَضَاء، وَإِذا وصل إِلَى العَبْد سمي حكما، وَالْقدر مُقَدّر فِي علمه الَّذِي علم وُصُوله إِلَى العَبْد ان شَاءَ، وَالْقدر صفته والمقدور ملكه،

وَالْقدر لَيْسَ بمحدود وَلَا مَعْدُود، والمقدور مَحْدُود ومعدود، كَذَلِك الْقَضَاء والمقضي وَالْحكم والمحكوم، وَالْقدر صفة ربوبيته من غير ابْتِدَاء تصويبا من الله عز وَجل، وَالْقَضَاء: إِلْزَام مَا صَوبه، وَالْحكم تَعْلِيق مَا ألزمه على العَبْد، والقدر: ما يقدره الله من القضاء.

وقيل المراد بالقضاء والقدر في الشرع: علم الله بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، ومشيئته سبحانه لوقوعها، وخلقه.(١)

ويتبين مما سبق ما بين المعنى اللغوي لكل من القضاء والقدر والمعنى الشرعي من ربط قوي، فكل منهما يأتي بمعنى الآخر، ومعاني القضاء ترجع إلى إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه، كما أن معاني القدر ترجع إلى التقدير، والله سبحانه وتعالى قدر مقادير الخلق، فعلمها وكتبها وشاءها وخلقها، وهي مقتضية ومقدرة فتقع حسب أقدارها، ويتبين من خلال ذلك ما بين معنى القضاء والقدر في اللغة والشرع من ترابط.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦٣/٥، مختار الصحاح ص: ٢٤٨، لسان العرب ٧٤/٥، التعريفات ص: ١٧٤، التوحيد للماتريدي ص: ٣٠٧، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣١/٣، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ١٩١/٦، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ١٨٠/١٠، فتح الباري لابن حجر ٤٧٧/١١، فيض القدير ٢٢/٥.

المطلب الثاني
الدعاء بين القضاء والقدر

أما ما يتعلق بالدعاء والقضاء والقدر فيقول الرازي وغيره: اختلف الناس في الدعاء فقال بعض الفلاسفة والمعتزلة: الدعاء شيء عديم الفائدة وغير نافع وغير مشروع، واحتجوا عليه من وجوه: أحدها:- أن المطلوب بالدعاء إن كان معلوم الوقوع عند الله تعالى كان واجب الوقوع فلا حاجة إلى الدعاء ، وإن كان غير معلوم الوقوع كان ممتنع الوقوع فلا حاجة أيضا إلى الدعاء.

وثانيها:- أن حدوث الحوادث في هذا العالم لا بد من انتهائها بالآخرة إلى المؤثر القديم الواجب لذاته وإلا لزم إما التسلسل وإما الدور وإما وقوع الحادث من غير مؤثر وكل ذلك محال ، وإذا ثبت وجوب انتهائها بالآخرة إلى المؤثر القديم فكل ما اقتضى ذلك المؤثر القديم وجوده اقتضاء قديما أزليا كان واجب الوقوع وكل ما لم يقتض المؤثر القديم وجوده اقتضاء قديما أزليا كان ممتنع الوقوع.

ولما ثبتت هذه الأمور في الأزل لم يكن للدعاء ألبتة أثر.

وربما عبروا عن هذا الكلام بأن قالوا:- الأقدار سابقة والأقضية متقدمة ، والدعاء لا يزيد فيها وتركه لا ينقص شيئا منها، فأي فائدة في الدعاء ، وقال عليه الصلاة والسلام: "قدر الله المقادير قبل أن يخلق الخلق

بكذا وكذا عاما".(١)

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "جف القلم بما هو كائن"(٢)

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١٦٩/٢ ح رقم ٦٥٧٩ ، صحيح ابن حبان ٥/١٤ ح رقم ٦١٣٨ ، سنن الترمذي ٤٥٨/٤ ح رقم ٢١٥٦ عن عبد الله بن عمرو بلفظ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة".

(٢) هذا الحديث جزء من حديث طويل عن ابن عباس قال : كنت رديف النبي ﷺ فقال : " يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن. فقلت: بلى. فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا".

أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٨/٥ ح رقم ٢٨٠٣ ، واللفظ السابق له، وسنن النسائي الكبرى ٢٧/٢ ح رقم ١٠٧٤، وحلية الأولياء ٣١٤/١ ، والمعجم الكبير ١١/ ٢٢٣ ح رقم ١١٥٦٠ ، مجمع الزوائد ١٠٨/٧ وقال الهيثمي رواه الطبراني وفيه علي بن أبي علي القرشي وهو ضعيف، كشف الخفاء ١/ ٣٠٧ وقال العجلوني: وأورده الضياء في المختارة وهو حسن ، وله شاهد رواه عبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه بلفظ" يا ابن عباس احفظ الله يحفظك ، واحفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" وذكره مطولا بسند ضعيف ، ورواه أحمد والطبراني وغيرهما بسند أصح رجالا وأقوى.

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: "أربع قد فرغ منها من الخَلْق وَالخُلُق والرزق والأجل"(١)

وثالثها: أنه سبحانه علام الغيوب "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ"(٢) وإذا كان يعلم ما في الضمير فأي حاجة بالداعي إلى الدعاء. ولهذا السبب قالوا: إن جبريل عليه السلام بلغ بسبب هذا الكلام إلى أعلى درجات الإخلاص والعبودية، ولولا أن ترك الدعاء أفضل لما كان كذلك.

ورابعها: أن المطلوب بالدعاء إن كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يهمله، وإن لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه. وخامسها: ثبت بشواهد العقل والأحاديث الصحيحة أن أجل مقامات الصديقين وأعلاها الرضا بقضاء الله تعالى والدعاء ينافي ذلك لأنه اشتغال بالالتماس وترجيح لمراد النفس على مراد الله تعالى وطلبه لحصة البشر.

وسادسها: أن الدعاء يشبه الأمر والنهي وذلك من العبد في حق المولى الكريم الرحيم سوء أدب. وسابعها: روي أنه عليه الصلاة والسلام قال

---

(١) الحديث ورد مرفوعا وموقوفا، فأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط مرفوعا ٧/٢٢٠ح رقم ٧٣٢٥، وأخرجه موقوفا في الكبير ٩/١٩٣ ح رقم ٨٩٥٢، على عبد الله بن مسعود، وله شاهد مرفوع من حديث أبي الدرداء عن ابن أبي عاصم في كتاب السنة ١/١٣٣ ح رقم ٣٠٤، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/١١٥ وقال: رواه الطبراني وفيه عيسى بن المسيب وثقه الحاكم والدار قطني في السنن وضعفه جماعة، وبقية رجاله في أحد الإسنادين ثقات.

(٢) سورة غافر الآية رقم ١٩.

رواية عن الله سبحانه وتعالى "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين..."(١) قالوا: فثبت بهذه الوجوه أن الأولى ترك الدعاء.(٢)

هذه بعض شبه من أنكر الدعاء محتجا بما تقدم من ءايات وأحاديث. وهذا الكلام باطل نقلا وعقلا، لما تقدم في هذا البحث ولما يأتي: قال الرازي وغيره: قال الجمهور الأعظم من العلماء: إن الدعاء أهم مقامات العبودية ويدل عليه وجوه من النقل والعقل أما الدلائل النقلية فكثيرة. وقد تقدم في الصفحات السابقة ما يدل على ذلك، وأيضا الذي يدل على أن الدعاء من أجل العبادات وأعظمها أن الله تعالى ذكره في القرآن الكريم في نحو ثلاثمائة موضع.

ومع ذلك فالقرآن لم يقتصر في بيان فضل الدعاء على الأمر به بل بين في آية أخرى أنه إذا لم يسأل يغضب فقال "فَلَوْلاَ إِذَا جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ"(٣) والآيات كثيرة في هذا الباب فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن.

والجواب عن الشبهة الأولى: أنها متناقضة لأن إقدام الإنسان على الدعاء إن كان معلوم الوقوع فلا فائدة في اشتغالكم بإبطال الدعاء وإن كان

---

(١) سنن الترمذي ١٨٤/٥ ح رقم ٢٩٢٦ عن أبي سعيد، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، الدعاء ص: ٥١٩ ح رقم ١٨٥١، الزهد لابن حنبل ص ٩٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٢٩٦/٣، التفسير الكبير ٨٣/٥ وما بعدها بتصرف، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٥.

(٣) الآية من سورة الأنعام رقم ٤٣.

معلوم العدم لم يكن إلى إنكاركم حاجة. ثم نقول كيفية علم الله تعالى وكيفية قضائه وقدره غائبة عن العقول، والحكمة الإلهية تقتضي أن يكون العبد معلقا بين الرجاء وبين الخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق يصح القول بالتكاليف مع الاعتراف بإحاطة علم الله بالكل وجريان قضائه وقدره في الكل.

ولهذا الإشكال سأل الصحابة رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري بسنده قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: "ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ...إلى قوله: فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}".(١)

فانظر إلى لطائف هذا الحديث فإنه عليه السلام علقهم بين الأمرين فرهبهم سابق القدر المفروغ منه ثم ألزمهم العمل الذي هو مدرجة التعبد فلم يعطل ظاهر العمل بما يفيد من القضاء والقدر ولم يترك أحد الأمرين للآخر، وأخبر أن فائدة العمل هو المقدر المفروغ منه فقال: "كل ميسر لما خلق له" يريد أنه ميسر في أيام حياته للعمل الذي سبق له القدر قبل وجوده إلا أنك تحب أن تعلم ههنا فرق ما بين الميسر والمسخر فتأهب لمعرفته فإنه بمنزلة

(١) الآيات من سورة الليل من ٥ : ١٠، والحديث ينظر: صحيح البخاري ١٢/١٩ ح رقم ٧٥٥٢ عن عمران بن حصين بلفظ آخر، صحيح مسلم ٢٠٣٩/٤ ح رقم ٢٦٤٧ واللفظ له، المعجم الكبير ٦٤/١، القضاء والقدر للبيهقي ٤١٤/١.

مسألة القضاء والقدر. ويقول الحافظ ابن حجر: الأقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة.(١)

والجواب عن الشبهة الثانية: أنه ليس المقصود من الدعاء الإعلام بل إظهار العبودية والذلة والانكسار والرجوع إلى الله بالكلية.

وعن الثالثة: أنه يجوز أن يصير ما ليس بمصلحة مصلحة بحسب سبق الدعاء.

وعن الرابعة: أنه إذا كان مقصوده من الدعاء إظهار الذلة والمسكنة ثم بعد ذلك رضي بما قدره الله وقضاه فذلك أعظم المقامات، وهذا هو الجواب عن بقية الشبه في هذا الباب.(٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢٩٨/٣ ، تفسير الرازي ٨٥/٥ ، شرح النووي على مسلم ٢١٣/١٦، فتح الباري ٤٩١/١١، العقيدة الطحاوية ص ٢٢٣، مجموع الفتاوى ١٧٦/٨، مدارج السالكين ٤٩٧/٣.

(٢) نفس المصادر السابقة.

المبحث السادس
هل يرد الدعاء القضاء؟

جاء في تفسير روح البيان ما نصه: لم يختلف أحد من علماء الإسلام في أن حكم القضاء والقدر شامل لكل شيء ومنسحب على جميع الموجودات ولوازمها من الصفات والأفعال والأحوال وغير ذلك. فما الفرق بين ما نهى النبي ﷺ عن الدعاء فيه كالأرزاق المقسومة والآجال المضروبة وبين ما حرض عليه كطلب الإجارة من عذاب النار وعذاب القبر ونحو ذلك؟

فاعلم أن المقدورات على ضربين: ضرب يختص بالكليات، وضرب يختص بالجزئيات التفصيلية فالكليات المختصة بالإنسان قد أخبر عليه السلام أنها محصورة في أربعة أشياء وهي العمر والرزق والأجل والسعادة أو الشقاوة وهى لا تقبل التغير، فالدعاء فيها لا يفيد كصلة الرحم إلا بطريق الفرض يعني لو أمكن أن يبسط في الرزق ويؤخر في الأجل لكان ذلك بالصلة والصدقة فان لهما تأثيرا عظيما ومزية على غيرهما، ويجوز فرض المحال إذا تعلق بذلك الحكمة قال تعالى "قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ".(١)

وأما الجزئيات ولوازمها التفصيلية فقد يكون ظهور بعضها وحصوله للإنسان متوقفا على أسباب وشروط وربما كان الدعاء والكسب والسعي

---

(١) الآية رقم ٨١ من سورة الزخرف.

والعمل من جملتها، بمعنى أنه لم يقدر حصوله بدون الشرط أو الشروط.(١)

وهنا سؤال ألا وهو: هل يمحو ويغير الله ما يكتبه على العباد ويكتب غيره، وهل يرد الدعاء شيئا من القضاء؟ الجواب: نعم، فالله تبارك وتعالى يقول: "يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ"(٢) وعن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر"(٣) وقال أيضا ﷺ : "إن الدعاء يرد القضاء و إن البر يزيد في الرزق و إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"(٤) وعن علي بن أبي طالب قال: إن القدر لا يرد القضاء ولكن الدعاء يرد القضاء.

ولا بد هنا من بيان أمور:-

أحدها: أن الدعاء الذي يرد القضاء هو الدعاء المتوفر فيه الشروط والأركان والمقبول.

ثانيها: ليس كل القضاء يرد ولكن المقصود هنا القضاء غير المبرم في الأزل، فقد قيل في تفسير الآية السابقة: إن المحو والإثبات عام في جميع الأشياء. ولكن هذا الكلام ترده القاعدة المتقررة بأن القضاء والقدر لا يتبدل، وعلم الله لا يتغير.

---

(١) روح البيان ٣٢٧/٧.

(٢) الآية رقم ٣٩ من سورة الرعد.

(٣) سنن الترمذي ٤٤٨/٤ ح رقم ٢١٣٩، المعجم الكبير للطبراني ٦/ ٦٣، ح رقم ٦٠٠٥، مسند البزار ٥٠١/٦ ح رقم ٢٥٤٠، الدعاء للطبراني ص ٣٠ ح رقم ٣٠.

(٤) المستدرك ٥٤٨/٣ ح رقم ٦٠٣٨ عن ابن عباس.

أما القضاء المبرم وهو: علم الله القديم الذي استأثر الله به، فلا شك أنه لا يتبدل ولا يتغير، وأما القضاء الذي يبرز إلى علم الخلائق من الملائكة وغيرهم، فيقع فيه المحو والإثبات، وذلك أن الحق تعالى قد يُطلعهم على بعض الأقضية، وهي عنده متوقفة على أسباب وشروط، يخفيها عنهم بقهريته، ليظهر اختصاصه بالعلم الحقيقي، فإذا أرادت الملائكة أن ينفذوا ذلك الأمر محاه الله تعالى، وأثبت ما عنده في علم غيبه، وهو أم الكتاب، حتى قال بعضهم: إن اللوح المحفوظ له جهتان: جهة تلي عالم الغيب، وفيه القضاء المبرم، وجهة تلي عالم الشهادة، وفيه القضاء الذي يُرد ويُمحى لأنه قد تكتب فيه أمور، وهي متوقفة على شروط وأسباب في علم الغيب، لم تظهر في هذه الجهة التي تلي عالم الشهادة، فيقع فيها المحو والإثبات، وبهذا يندفع إشكالات كما في الحديث السابق "لا يرد القضاء إلا الدعاء"

وقول ابن مسعود وعمر – رضى الله عنهما –: اللهم إن كنت كتبتنا في ديوان الشقاء فامحنا، واكتبنا في ديوان السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت.

أي: إن كنت أظهرت شقاوتنا فامحها، وأظهر سعادتنا فإنك تمحو ما تشاء ... الخ.

قال قتادة(١): وأصوب ما يفسر به أم الكتاب، أنه كتاب الأمور

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب البصرى الأكمه، ، ولد قتادة فى سنة ستين، وهو حجة بالإجماع وتابعى==

المجزومة التي سبق القضاء فيها بما هو كائن، وسبق ألا تبدل، ويبقى المحو والتثبيت في الأمور التي سبق في القضاء أن تبدل وتمحى وتثبت.

يقول المناوي:– القضاء: الأمر المقدر، وفي تأويله وجهان: الأول: أن يراد بالقضاء ما يخافه العبد من نزول المكروه فإذا وفق للدعاء دفع الله عنه فيكون تسميته بالقضاء مجازا، ويوضحه المصطفى ﷺ في الرقية هي من قدر الله فقد أمر الله بالدعاء والتداوي مع علم الخلق بأن المقدور كائن.

فقد أخرج الترمذي وغيره أنه سئل رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال ﷺ : "هي من قدر الله"(١)

الثاني: أن يراد به الحقيقة فيكون معنى رد الدعاء القضاء تهوينه حتى يكون القضاء النازل كأنه لم ينزل أي يحكم بأن يسهله من حيث

==ثقة ومن أوعية العلم ويضرب به المثل فى قوة الحفظ، سمع أنسا وسعيد بن المسيب وغيرهما، توفى سنة ثمانى عشرة ومائة ويقال توفى بواسط فى الطاعون وهو ابن ست أو سبع وخمسين بعد موت الحسن بسبع سنين. ينظر التاريخ الكبير ١٨٥/٧، ١٨٦، الجرح والتعديل ١٣٣/٧، معرفة الثقات ٢١٥/٢، طبقات الحفاظ ٥٤/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥: ٢٨٣ بتصرف.

(١) مسند أحمد ٢١٧/٢٤ ح رقم ١٥٤٧٢، سنن الترمذي ٣٩٩/٤ ح رقم ٢٠٦٥ وقال الترمذي هذا حديث حسن عن أبي خزامة عن أبيه ولا نعرف لأبي خزامة عن أبيه غير هذا الحديث، سنن ابن ماجه ١١٣٧/٢ح رقم ٣٤٣٧، القضاء والقدر للبيهقي ص ٢٠٥ ح رقم ٢٢٤.

تضمنه للصبر على القضاء والرضى به والرجوع إلى الله فكأنه رده قال الغزالي: من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى "خُذُوا حِذْرَكُمْ"(١) وأن لا يسقي الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته.

وقال بعضهم: شرع الله الدعاء لعباده لينالوا الحظوظ التي جعلت لهم في الغيب حتى إذا وصلت إليهم فظهرت عليهم توهم الخلق أنهم نالوها بالدعاء فصار الدعاء من السلطان ما يرد القضاء.(٢)

وهذا يحفزنا ويدفعنا للاجتهاد في طاعة الله سبحانه وتعالى باستمرار، وأن نكثر من دعاء الله ونجتهد في طاعته، وندعوه سبحانه

---

(١) جزء من الآية رقم ٧١ من سورة النساء

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣٥/٣، التيسير بشرح الجامع الصغير ٥٧٠/١، ٨٧٩/١، ٢١/٢، فيض القدير ٥٤١/٣ وما بعدها، ٤٥٠/٦، إحياء علوم الدين ٣٢٩/١، شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٠٧/٦.

وتعالى أن يجعلنا من السعداء، وأن نعمل بعمل أهل السعادة.

ومن الأدلة على ما قدمناه ما ورد من الاستعاذة من سوء القضاء كما ثبت عنه ﷺ من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ "كان يتعوذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، ومن جهد البلاء "(١). والاستعاذة من سوء القضاء يدخل فيها سوء القضاء في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل وقد يكون ذلك في الخاتمة.

فلو لم يكن للعبد إلا ما قد سبق به القضاء لم يستعذ رسول الله ﷺ من سوء القضاء(٢)

ومن ذلك حديث الدعاء في الوتر وفيه: " وقني شر ما قضيت "(٣). وهو حديث صحيح.ومن الأدلة ما ورد في صلة الرحم، ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: "من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه"(٤) .

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٨٠ ح رقم ٢٧٠٧، السنن الكبرى للنسائي ٧/٢٢٣ ح رقم ٧٨٧٤.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٧/٣١.

(٣) مسند أحمد ٣/٢٤٥ ح رقم ١٧١٨، سنن الترمذي ٢/٣٢٨ ح رقم ٤٦٤ عن الحسن بن علي، وقال الترمذي هذا حديث حسن وفي الباب عن علي، السنن الكبرى للنسائي ٢/١٧١ح رقم ١٤٤٦.

(٤) صحيح البخاري ٣/٥٦ ح رقم ٢٠٦٧ بلفظ "من سره" صحيح مسلم ٤/١٩٨٢ ح رقم ٢٥٥٧ بلفظ "من أحب"

وعنه ﷺ أيضا قال: "مكتوب في التوراة من سره أن تطول حياته ويزاد في رزقه فليصل رحمه"(١)

وعنه ﷺ قال: "إنه من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار"(٢) والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأما معنى الحديث: فبسط الرزق: سعته، قيل ذلك بتكثيره، وهو الأظهر، وقيل بالبركة فيه. والنسأ: التأخير. وينسأ: بضم الياء وتشديد السين المهملة مهموز أي يؤخر له في أجله.والأثر: الأجل. سمى بذلك لأنه تابع الحياة.

ومعنى التأخير هنا في الأجل – مع أن الآجال لا يزاد فيها ولا ينقص وهى مقدرة في علم الله – قيل: هو بقاء ذكره الجميل بعده على الألسنة موجودا، فكأنه لم يمت.

وقيل: هذا على ما سبق به العلم والقدر أنه إن وصل رحمه فأجله كذا، وإن لم يصل فكذا. وفى علم الله – تعالى – أنه لابد له من أحد الحالين، على ما سبق له في أم الكتاب. وهذا مثل ما سبق من السعادة والشقاوة، مع تكليف العمل والطاعة، ونهيه عن المعصية، وقد سبق له في

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١٧٧/٤ ح رقم ٧٢٧٩ عن ابن عباس، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث يونس عن الزهري عن أنس، وقال الذهبي: صحيح.

(٢) مسند أحمد ١٥٣/٤٢ ح رقم ٢٥٢٥٩ عن عائشة.

أم الكتاب ما سبق من سعادة أو شقاوة.(١)

ولعل البعض يفهم من ظاهر الحديث أنه يتعارض مع قوله تعالى "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ"(٢) والحق أنه لا تعارض، والجمع بينهما من وجهين:-

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر.

وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع فالذي في علم الله لا يتقدم

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢١/٨، شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٠٧/٦، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٩١/١٠، فيض القدير ٨٣/٢، فيض القدير ٢٠٣/٢.

(٢) الآية رقم ٣٤ من سورة الأعراف.

ولا يتأخر والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى في المحو والإثبات، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة ويقال له القضاء المبرم ويقال للأول القضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب، فإن الأثر ما يتبع الشيء فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور، ويجوز أن يكون المعنى: أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم، ومن هذه المادة قول الخليل عليه السلام "وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ".(١) (٢)

فلو لم يكن للعبد إلا ما قد سبق له لم تحصل له الزيادة بصلة رحمه، بل ليس له إلا ما قد سبق به القضاء وصل رحمه أو لم يصل.

وقد أمر ﷺ بالتداوي والدعاء مع أن المقدور كائن لخفائه على الناس وجودا وعدما، ولما بلغ عمر الشام وقيل له إن بها طاعونا رجع فقال له أبو عبيدة: أتفر من القضاء يا أمير المؤمنين؟ فقال لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قضاء الله إلى قضاء الله.(٣)

---

(١) الآية رقم ٨٤ من سورة الشعراء.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٤١٦/١٠، معارج القبول بشرح سلم الوصول ٧٠٦/٢، تحفة الأحوذي ٢٨٨/٦ وما بعدها، ولاية الله والطريق إليها ص: ٤٨٥، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٩١/١٠، فيض القدير ٨٣/٢، فيض القدير ٢٠٣/٢

(٣) تحفة الأحوذي ٢٨٨/٦ وما بعدها، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٢٢/٧.

ومن أحاديث هذا الباب أيضا قوله ﷺ "لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة"(١)

وقوله ﷺ "حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء". (٢)

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٦٦٩/١ ح رقم ١٨١٣ عن عائشة رضي الله عنها، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) الدعاء للطبراني ص ٣٥ ح رقم ٤٨ عن ابن مسعود، كشف الخفاء ٤١٥/١ وقال: ضعيف، لكن ورد له شواهد.

الخاتـــمة

الحمد لله الذي بنعمته وتوفيقه تتم الصالحات، ومن فضله ورحمته تتنزل العطايا والبركات، وأشهد أن لا إله إلا الله منزل الفرقان والآيات، أسبغ عليَّ وعلى عباده نعمًا لا يحصيها ذووا العقول والإدراكات، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله ﷺ صاحب الرسالة والبلاغ والأقوال البينات، والمؤيد من الله – عز وجل- بكبار المعجزات، اللهم صل وسلم وبارك عليه صلاة تدوم وتبقى ما دامت الأرض والسماوات، ورضي الله تبارك وتعالى عن آل بيته وأصحابه وأتباعه الغر الميامين السادات.

أما بعد

تلك هي خاتمة القول، ونهاية الفعل، وجهد المقل، ولا أدعى وأقول أن ما مضى هو غاية المستطاع ، بل أقر وأعترف على بينة واقتناع، أنه جهد المقل والطالب للاتباع لخير سلف ، وأيضًا هو عمل من لا عمل له ، أما من حيث ما منَّ الله على به من خلال هذا البحث فنعمه تعالى لا تعد ولا تحصى، لكن أقول: بعد هذا البحث توصلت إلى نتائج من أهمها:

١- إن الجانب العقدي في حياة المسلم هو الجانب الذي ينبغي عليه أن يسأل عنه ويعلم ما ينبغي عليه أن يعلمه، فلا غنى لكل مسلم عن ذلك، فالعقل وحده لا يستطيع أن يدرك ما تحتاج إليه البشرية إطلاقا، بل لا بد من اتباع الشرع القويم وسنة النبي الكريم ﷺ حتى يعيش المرء حياة كريمة طيبة، ولن يتأتى ذلك إلا باتباع الحق الذي أنزله الله وبلغه رسوله ﷺ وسار عليه السلف الصالح.

٢- نهج العلماء السابقون نهجا عظيما في إفراد الدعاء بالكتب المستقلة أمثال الإمام الطبراني والطرطوشي وغيرهم، ومن مشايخنا أيضا شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي، رحمه الله تعالى وغيرهم، وهؤلاء العلماء هم كثرة لو أردت أن أحصيهم لطال بي البحث.

٣- ينبغي أن يتعلم المرء عقائده من أصولها التي يرضاها الله ورسوله ففي الشرع الغنى لكل طالب للحق، وأما من زاغ عن ذلك فهو متبع لهواه والعياذ بالله، وإنما ذكرت ذلك لأن الكلام في الدعاء ضل فيه أقوام من حيث نفعه من عدمه، والحق واضح لا شك فيه من حيث إثبات الدعاء ونفعه ورده للقضاء كما بينت في ثنايا البحث.

٤- أن الداعي لا بد وأن يجد من دعائه عوضا إما إسعافا بطلبته التي لأجلها دعا، وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء فإنه يعطي سكينة في نفسه، وانشراحا في صدره، وصبرا يسهل معه احتمال البلاء الحاضر، وعلى كل حال فلا يعدم فائدة وهو نوع من الاستجابة.

٥- الدعاء متى تحققت آدابه وشروطه لا يرد أبدا، وإنما تتخلف الإجابة أحيانا لعدم تحقق الآداب والشروط، لأن الله الكريم وعد بالإجابة، بل وعد على الدعوة الواحدة ثلاث إجابات كما ورد في الأحاديث.

٦- أن الإنسان قد يصل إلى أعلى درجات العبودية والإخلاص بسبب التزامه أعتاب سيده وسؤاله دوما في السراء والضراء، في الملأ أو الخلوات، في العظيم والحقير، في القليل والكثير.

٧- اهتمام القرآن بالدعاء وحديثه عنه، وعناية الأنبياء بالدعاء والخضوع والسؤال لله، حتى الملائكة، وعباد الله الصالحين والعارفون بالله، كل ذلك من دواعي العناية بالدعاء وعدم الغفلة عنه ورفعة شأنه وعلو مقامه .

فهرس المصادر والمراجع

١) أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٢) إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٣) الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ) الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٥) الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠م.

٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ) الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٧) أسماء من يعرف بكنيته، المؤلف: أبو الفتح محمد بن الحسين بن بريدة الموصلي الأزدي (المتوفى: ٣٧٤هـ) الناشر: الدار السلفية

– الهند، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٨) الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

٩) أضواء البيان للإمام محمد الأمين بن محمد الشنقيطي ، ط/ دار الفكر . بيروت ، ١٤١٥هـ .

١٠) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد الشافعي (المتوفى: ١٣١٠هـ)ط دار الفكر.

١١) الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

١٢) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (المتوفى: ٩٧٧هـ) ط: دار الفكر – بيروت.

١٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١٤) إيقاظ الهمم بشرح الحكم للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة،

ط دار المعارف.

١٥) بحر العلوم، تفسير السمرقندي لأبي الليث نصر بن محمد، (المتوفى: ٣٧٣هـ) ط/ دار الفكر . بيروت.

١٦) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة،: ١٤١٩هـ.

١٨) البدء والتاريخ: للمطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ) الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

١٩) البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

٢٠) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢١) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق

الحسيني ، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) الناشر: دار الهداية.

٢٢) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) الناشر: وزارة الأوقاف، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧م.

٢٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: المكتبة التوفيقية،

٢٤) التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

٢٥) تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٦) تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٢٧) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، المؤلف: أبو سليمان محمد بن عبد الله الربعي (المتوفى: ٣٧٩هـ) الناشر: دار العاصمة – الرياض،

الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٨) التحبير في المعجم الكبير، المؤلف: عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي (المتوفى: ٥٦٢هـ) الناشر: رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م.

٢٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٠) تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان) المؤلف: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (المتوفى: ٥٠٧هـ) الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

٣١) الترغيب في الدعاء، المؤلف: عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٦٠٠هـ) الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

٣٢) التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) الناشر: شركة دار الأرقم.

٣٣) تفسير أبي السعود للإمام محمد بن محمد العمادي ، ط/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٤) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن

كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

٣٥) تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزى السمعاني (المتوفى: ٤٨٩هـ) الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٣٦) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٣٧) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٣٨) تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

٣٩) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المؤلف: محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٤٠) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ) الناشر: وزارة

عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٤١) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) الناشر: دار الشريف – الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٤٢) تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

٤٣) تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ.

٤٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن الشهير بالمزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠

٤٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٤٦) التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري (المتوفى:

١٠٣١هـ) الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٤٧) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، المؤلف: أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ) الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية صنعاء، اليمن، الطبعة: الأولى،١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٤٨) الثقات، المؤلف: محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.

٤٩) الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن التميمي، أبو حاتم البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣.

٥٠) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٥١) جامع التحصيل في أحكام المراسيل: لأبي سعيد بن خليل العلائي، ط/عالم الكتب بيروت ١٤٠٧هـ ،الطبعة الثانية.

٥٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة:

السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٣) الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٥٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

٥٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد، دمشق - الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.

٥٧) الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

٥٨) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي محيي الدين الحنفي (المتوفى:

٧٧٥هـ) الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي.

٥٩) حجة الله البالغة، المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ) الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٦٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة – محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٦١) الدر الثمين في أسماء المصنفين، المؤلف: علي بن أنجب بن عثمان تاج الدين (المتوفى: ٦٧٤هـ) الناشر: دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

٦٢) الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت.

٦٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

٦٤) الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الداعي إتيانه واجتنابه، المؤلف محمد بن الوليد بن خلف الطرطوشي المتوفى(٥٢٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، الطبعة

الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٦٥) الدعاء، المؤلف: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.
٦٦) الدعوات الكبير، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) الناشر: غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٩ م.
٦٧) دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، المؤلف: منصور بن يونس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ) الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٦٨) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (المتوفى: ٧٩٩هـ) الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
٦٩) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٧٠) روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت.
٧١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف:

شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٧٢) زاد المسير في علم التفسير، للإمام: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٧٣) الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٧٤) سلاح المؤمن في الدعاء والذكر، المؤلف: محمد بن محمد بن علي المعروف بابن الإمَام (المتوفى: ٧٤٥هـ) الناشر: دار ابن كثير – دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٣.

٧٥) سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ) الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠ م

٧٦) سنن ابن ماجه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٧٧) سنن أبي داود، المؤلف: سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني

(المتوفى: ٢٧٥هـ) الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٧٨) سنن النسائي الكبرى لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي(المتوفى: ٣٠٣هـ) ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١ – ١٩٩١.

٧٩) سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٨٠) شأن الدعاء، المؤلف: حمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) الناشر: دار الثقافة العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٨١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي (المتوفى: ١٠٨٩هـ) الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٨٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ) الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٨٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المؤلف: محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري الأزهري، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨٤) شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر البراك، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م.
٨٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٨٦) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٨٧) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، ط المكتبة التوفيقية.
٨٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٨٩) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان أبو حاتم، (المتوفى: ٣٥٤هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.
٩٠) صحيحُ ابن خُزَيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن (المتوفى: ٣١١هـ) الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة،

١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٩١) صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٩٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

٩٣) طبقات الحفاظ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٩٤) طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٩٥) طبقات الشافعيين، المؤلف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

٩٦) الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

٩٧) طبقات المفسرين، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين

الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٨) طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم أبو زرعة ولي الدين (المتوفى: ٨٢٦هـ) الناشر: الطبعة المصرية القديمة – عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٩٩) العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٠) العزلة والانفراد، المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى : ٢٨١هـ) الناشر: مكتبة الفرقان – القاهرة.

١٠١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمود بن أحمد بن موسى الحنفى العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية،

١٤١٥ هـ.
١٠٣) غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة،لأبي إسحق محمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
١٠٤) فتاوى السبكي لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ)الناشر: دار المعارف.
١٠٥) الفتاوى الفقهية الكبرى، المؤلف: أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٤هـ) جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي (المتوفى ٩٨٢ هـ) الناشر: المكتبة الإسلامية.
١٠٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٠٧) فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
١٠٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

١٠٩) القضاء والقدر، المؤلف: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض/ السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م،

١١٠) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١١١) كتاب الأزهية في أحكام الأدعية، المؤلف محمد بن بهادر الزركشي المتوفى (٧٩٤)، الناشر: دار الفرقان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١١٢) كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١١٣) كتاب العين للخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١١٤) كتاب سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية تأليف: الشيخ ابراهيم عثمان السمنودي العطار، الناشر: دار الخلود للتراث – القاهرة، الطبعة: الأولى ٢٠٠٨م

١١٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

١١٦) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ) الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١١٧) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١١٨) الكنى والأسماء، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١١٩) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
١٢٠) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل بن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
١٢١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

١٢٢) مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٢٣) المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر.

١٢٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

١٢٥) المخصص، المؤلف: علي بن إسماعيل بن سيده (المتوفى: ٤٥٨هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٢٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

١٢٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) الناشر: دار

الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٢٨) مستخرج أبي عوانة، المؤلف: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م..
١٢٩) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
١٣٠) المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: محمد بن أحمد الأبشيهي (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.
١٣١) مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
١٣٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
١٣٣) مسند الشهاب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
١٣٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ

، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: ٢٦١هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣٥) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، المؤلف: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

١٣٦) المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٣٧) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : ١٣٧٧هـ) الناشر : دار ابن القيم – الدمام، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

١٣٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ.

١٣٩) معجم الأدباء، المؤلف: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الناشر: دار الغرب، بيروت.

١٤٠) المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

١٤١) المعجم المختص بالمحدثين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٤٢) معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ) الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٤٣) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ) الناشر: دار الفكر.

١٤٤) معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٤٥) المقتنى في سرد الكنى، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٤٦) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٤٧) المنجد في اللغة والأعلام "أعلام " للويس معلوف، ط دار الشرق.

١٤٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٤٩) المنهاج في شعب الإيمان، المؤلف: الحسين بن الحسن بن محمد البخاري الجرجاني الحليمي (المتوفى: ٤٠٣هـ) الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.
١٥٠) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) الناشر: مكتبة لبنان– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.
١٥١) الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
١٥٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م.
١٥٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٥٤) الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

١٥٥) ولاية الله والطريق إليها، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار الكتب الحديثة – مصر / القاهرة.